سلسلة نصوص تراثية للباحثين (١٩٧)

من كليات القرآن الكريم

(**قواعد –فوائد -لطائف**)

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل

بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها

وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

١. "فسواهن سبع سماوات أي خلق سبع سماوات مستويات بلا فطور ولا شطور ولا عمد تحتها ولا علامة فوقها. وهو بكل شيء عليم: عالم.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٩]

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠) وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (٣٣) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (٣٤)

وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٣٦) فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (٣٧) قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٨) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩)

وإذ قال ربك يعني: وقد قال، وقيل معناه: واذكر إذ قال ربك، **وكل ما ورد في القرآن** من هذا النحو فهذا سبيله.

و (إذ) و (إذا) حرفا توقيت، إلا أن (إذ) للماضي و (إذا) للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر.

قال المبرد: إذا جاء (إذ) مع المستقبل كان معناه ماضيا نحو قوله: وإذ يمكر بك «١» وإذ يقول، يريد وإذ مكر وإذ قال، وإذا إذ جاء مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله: فإذا جاءت الطامة الكبرى «٢» فإذا جاءت الصاخة «٣» إذا جاء نصر الله «٤» أي يجيء، وقال الشاعر:

ثم جزاه الله عنا إذ جزا ... جنات عدن والعلا إلى العلا «٥»
أي يجزيه.

---

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

(٢) سورة النازعات: ٣٤.

(٣) سورة عبس: ٣٣.

(فإذا جاءت الطامة الكبرى: النازعات- ٣٤) .

(٤) سورة النصر: ١.

(٥) لسان العرب: ١٥/ ٤٦٣، وتاج العروس: ١/ ٤٢٤.." (١)

٢. "الزجاج: قال قوم في قوله تعالى: ثم استوى إلى السماء: أي: عمد وقصد إلى السماء.
كما تقول: فرغ الأمير من بلد كذا، ثم استوى إلى بلد كذا.
معناه: قصد بالاستواء إليه، قال: وقول ابن عباس: استوى إلى السماء.
أي: صعد، معناه: صعد أمره إلى السماء.
وحكى أهل اللغة أن العرب تقول: كان الأمير يدبر أهل الشام ثم استوى إلى أهل الحجاز.
أي: تحول فعله.
وقوله: ﴿فسواهن سبع سموات﴾ [البقرة: ٢٩] : التسوية: جعل الشيئين أو الأشياء على استواء، يقال: سويت الشيئين فاستويا.
وجمع الكناية في فسواهن: لأنه أراد بالسماء: جمع سماءة، أو سماوة على ما ذكرنا.
وجائز أن تعود الكناية إلى أجزاء السماء ونواحيها، فالمعنى: جعلهن سبع سموات مستويات بلا فطور ولا أمت.
وهو بكل شيء عليم إذ بالعلم يصح الفعل المحكم، فأفعاله تدل على علمه.
وقوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾ [البقرة: ٣٠] الآية، قال أبو عبيدة: إذ ههنا زائدة، معناه: وقال ربك للملائكة.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي ١٧٤/١

وأنكر الزجاج وغيره هذا القول وقالوا: إن الحرف إذا أفاد معنى صحيحا لم يجز إلغاؤه.

قالوا: وفي الآية محذوف، معناه: واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة.

وأكثر المفسرين على أن **كل ما ورد في القرآن** من هذا النحو فالذكر فيه مضمر.

وأما الملائكة فقال سيبويه: واحدها: ملك، وأصلها: ملاك، مهموز، حذف همزه لكثرة الاستعمال، وأنشد:

فلست لإنس ولكن لملأك ... تنزل من جو السماء يصوب." (١)

٣. "﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) ﴾

الله لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذي لهم بمنزله السمع والبصر.

والثاني معناه: ولو شاء الله لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة؛ كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة. ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ يعني: قادر.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ الآية، قال ابن عباس: **كل ما ورد في القرآن** من قوله ﴿يا أيها الناس﴾ فإنما نزل بمكة، **وكل ما ورد** من قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فإنما نزل بالمدينة.." (٢)

٤. "وقوله: ﴿يا أيها الناس﴾ يعنى: يا هؤلاء الناس. وهذا وإن عمت صيغته ولكن دخله الخصوص؛ فإنه لا يتناول الصغار والمجانين. ﴿اعبدوا﴾ أي: وحدوا.

قال ابن عباس: **كل ما ورد في القرآن** من العبادة فهو بمعنى التوحيد، **وكل ما ورد في القرآن** من التسبيح والسبحة فهو بمعنى الصلاة.

وقوله: ﴿اعبدوا ربكم الذي خلقكم﴾ أي: وحدوا الله الذي خلقكم. وإنما خاطبهم به؛ لأن الكفار مقرون أن الله خالقهم، والخلق: هو اختراع الشيء على غير مثال سبق. ﴿والذين من قبلكم﴾ أي: وخلق الذين من قبلكم. فإن قيل: أي فائدة في قوله: ﴿والذين من قبلكم﴾ فإن من عرف أن الله خالقه فقد عرف أنه خالق غيره من قبله؟ قيل: فائدته المبالغة في البيان، أو يقال: فائدته المبالغة في الدعوة، يعني: إذا كان الله خالقكم وخالق من قبلكم فلا

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي، الواحدي ١١٢/١

(٢) تفسير السمعاني، السمعاني، أبو المظفر ٥٦/١

تعبدوا إلا إياه. وفيه إشارة لأنه خلق الأولين وأماتهم وابتلاهم في الدنيا والآخرة؛ فأشار بهذا إلى أني أفعل بكم ما فعلت بهم.

﴿لعلكم تتقون﴾ قيل معناه: لكي تتقوا، قاله أبو عبيدة، وقيل معناه: كونوا." (١)

٥. "﴿الذين يظنون﴾ يستيقنون. والظن يكون بمعنى الشك، ويكون بمعنى اليقين، قال الله تعالى: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ أي: استيقنت، وقال الشاعر:

(فقلت لهم ظنوا بألفي مقنع ... سراتهم في الفارسي المسرد)

وقوله تعالى: ﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ أي صائرون إلى ربهم. **وكل ما ورد في القرآن** من اللقاء فهو بمعنى الصيرورة إليه، كذا قال المفسرون.

وقيل: هو اللقاء الموعود، وهو رؤية الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ أي: صائرون.." (٢)

٦. "﴿مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (٦٧) ونفخ في الصور فصعق من في﴾ إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، وجميع الخلائق على إصبع؛ فضحك النبي، وقرأ قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ وفي رواية: " فضحك النبي تعجبا وتصديقا له " والخبر على الوجه في الصحيحين.

وفي رواية [ابن عمر] عن النبي: " إن الله يقبض الأرض ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ قال ابن عمر: وجعل النبي يتحرك على منبره؛ حتى قلنا: يكاد يسقط ". وفي رواية: " جعل المنبر يتحرك هكذا وهكذا ".

وفي رواية عائشة رضي الله عنها " أن النبي قرأ: ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ قالت عائشة: فأين يكون الناس؟ قال: على الصراط ". وروى أنه قال: " على جسر جهنم ".

ويقال: إن قبضته ويمينه لا بوصف، قال سفيان بن عيينة: **كل ما ورد في القرآن** من هذا

(١) تفسير السمعاني، السمعاني، أبو المظفر ٥٦/١

(٢) تفسير السمعاني، السمعاني، أبو المظفر ٧٥/١

فتفسيره قراءته، حكاه النقاش وغيره. وقيل: قبضته قدرته، والأول أولى بما بينا من قبل.

وقوله: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ نزه نفسه عما وصفه به المشركون.." (١)

٧. "(فصل في أقسام ما ينطوي عليه القرآن من أنواع الكلام)

وقد تقرر أن أنواع الكلام المركب الخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي والطلب والشافعة، والوارد في كلام الله تعالى من ذلك: الخبر والأمر والنهي، وذاك أن علام الغيوب لا يحتاج إلى الاستخبار وكل ما ورد من ألفاظ الاستخبار فعلى الحكاية أو على الانكار والتوبيخ، والمولى لا يطلب من عبده ولا يتشفع إليه.

فإذن هذه الثلاثة ساقطة من القرآن، والخبر: ما ينطلق عليه الصدق والكذب، وخاصيته أن يتعلق بالأزمان الثلاث.

والأمر والنهي لا ينطلق عليهما ذلك، ولا يتعلقان إلا بالمستقبل، وفائدة الخبر ضربان: أحدهما: إلقاء ما ليس عند المخاطب إليه ليتصوره نحو أمور الآخرة من الثواب والعقاب.

والثاني: إلقاء ما قد تصوره ليتأكد عنده.

وعلى ذلك جميع ما ورد في القرآن مما قد علم بالعقل مثل " الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ".

وفائدة الأمر والنهي شيئان: أحدهما: حث المخاطب على اكتساب محمود واجتناب مذموم، والثاني: حثه على الوجه الذي به يكتسب المحمود ويجتنب المذموم المقررين عند المخاطب، والغرض الأقصى من الخطاب الخبري: إيصال المخاطب إلى تالفرق بين الحق والباطل ليعتقد الحق دون الباطل.

ومن الأمر والنهي ان يفرق بين الجميل والقبيح، ليتحرى الجميل، ويجتنب القبيح، فكل خبر: فإما أن يكون معربا عما يلزم اعتقاده، فيسمى " الخبر الاعتقادي " وذلك نحو ما ينطوي عليه قوله: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر﴾ وإما أن يكون مبينا عما يقتضي الاعتبار به، فيسمى " الخبر الاعتباري "، كأخبار الأنبياء وأممهم والقرون الماضية، والأخبار عن خلق السماوات والأرض.

---

(١) تفسير السمعاني، السمعاني، أبو المظفر ٤٨٠/٤

وكل أمر ونهي: فإما أن يكون أمرا بما يقتضي العقل حسنه، ونهيا عما يقتضي العقل قبحه، فيسمى " الأوامر والنواهي العقلية "، أو أمرا بما تقصر عقولنا عن معرفة حسنه، ونهيا عما تقصر." (١)

٨. "والكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه لأن الإيمان عندهم كفر والكفر موت ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ أي القرآن يبهر قلوبهم. وقيل هذا مثل ضربه الله للإسلام فالمطر الإسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن، والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق ما فيه من الوعد والوعيد ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ يعني أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك ﴿والله محيط بالكافرين﴾ جامعهم يعني لا ينفعهم هربهم لأن الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم. يكاد البرق يعني دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة.

﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ يعني أن المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة. وقيل معناه كلما نالوا غنيمة وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا إنا معكم ﴿وإذا أظلم عليهم﴾ يعني رأوا شدة وبلاء تأخروا وقاموا أي وقفوا كما قال الله تعالى "ومن الناس من يعبد الله على حرف" (١١-الحج) ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ أي بأسماعهم ﴿وأبصارهم﴾ الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، وقيل لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذي لهم بمنزلة السمع والبصر. ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ قادر. قرأ عامر وحمزة شاء وجاء حيث كان بالإمالة.

﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (٢٢) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (٢٣) فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (٢٤) ﴾

قوله تعالى ﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يا أيها الناس خطاب أهل

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني ١/٨

مكة، ويا أيها الذين آمنوا خطاب أهل المدينة (١) وهو هاهنا عام إلا من حيث إنه لا يدخله الصغار والمجانين.

﴿اعبدوا﴾ وحدوا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: **كل ما ورد في القرآن** من العبادة فمعناها التوحيد ﴿ربكم الذي خلقكم﴾ والخلق: اختراع الشيء على غير مثال سبق ﴿والذين من قبلكم﴾ أي وخلق الذين من قبلكم ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بأن

---

(١) انظر: الكافي الشاف: لابن حجر (ص٥) .." (١)

٩. "﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠) ﴾

قوله تعالى ﴿وإذ قال ربك﴾ أي وقال ربك وإذ زائدة وقيل معناه واذكر إذ قال ربك وكذلك **كل ما ورد في القرآن** من هذا النحو فهذا سبيله وإذ وإذا حرفا توقيت إلا أن إذ للماضي وإذا للمستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر قال المبرد: إذا جاء ﴿إذ﴾ مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله تعالى "وإذ يمكر بك الذين" (٣٠-الأنفال) يريد وإذ مكروا وإذا جاء ﴿إذا﴾ مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله: "فإذا جاءت الطامة" (٣٤-النازعات) "إذا جاء نصر الله" (١-النصر) أي يجيء ﴿للملائكة﴾ جمع ملك وأصله مألك من المألكة والألوكة والألوك، وهي: الرسالة فقلبت فقيل ملأك ثم حذفت الهمزة طلبا للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها إلى اللام فقيل ملك. وأراد بهم الملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فغبروا فعبدوا دهرا طويلا في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا فبعث الله إليهم جندا من الملائكة يقال لهم: الجن، وهم خزان الجنان اشتق لهم من الجنة رأسهم إبليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فهبطوا إلى الأرض فطردوا الجن إلى شعوب الجبال (وبطون الأودية) (١) وجزائر البحور وسكنوا الأرض وخفف الله

---

(١) تفسير البغوي - طيبة، البغوي ، أبو محمد ٧١/١

عنهم العبادة فأعطى الله إبليس ملك الأرض، وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب فقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه (٢) فقال الله تعالى ٩/أله ولجنده: ﴿إني جاعل﴾

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكر ذلك أيضا الواحدي في التفسير: ١ / ٧٤، وانظر تفسير ابن كثير: ١ / ١٣١-١٣٣ و١٣٨-١٤١، ففيه بعض الروايات، وقد ضعفها ابن كثير رحمه الله ونقل ذلك عنه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري: ١ / ٥٠٥.." (١)

١٠. "الله على كل شيء قدير: قادر، قرأ ابن عامر وحمزة: «شاء، وجاء» ، حيث كان بالإمالة.

قوله تعالى: يا أيها الناس.

قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب لأهل [١] مكة، ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة، وهو هاهنا عام إلا من حيث إنه لا يدخله الصغار والمجانين. اعبدوا: وحدوا.

قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه [٢] التوحيد.

ربكم الذي خلقكم: والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق، والذين من قبلكم، أي: وخلق الذين من قبلكم.

لعلكم تتقون: لعلكم [٣] تنجون من العذاب، وقيل: معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله، وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء كما قال: فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (٤٤) [طه: ٤٤] ، أي: ادعواه [٤] إلى الحق وكونا [٥] على رجاء التذكر، وحكم الله من ورائه يفعل ما يشاء، قال سيبويه: لعل وعسى حرفا ترج، وهما من الله واجب.

الذي جعل لكم الأرض فراشا، أي: بساطا، وقيل: مناما، وقيل: وطاء [٦] ، أي: ذللها ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها، والجعل هاهنا بمعنى: الخلق، والسماء بناء، أي: سقفا

---

(١) تفسير البغوي - طيبة، البغوي ، أبو محمد ٧٨/١

مرفوعا، وأنزل من السماء، أي: [٧] السحاب، ماء، وهو المطر، فأخرج به من الثمرات: من ألوان الثمرات وأنواع النبات، رزقا لكم: طعاما لكم وعلفا لدوابكم، فلا تجعلوا لله أندادا، أي:

أمثالا تعبدونهم كعبادة الله.

وقال أبو عبيدة: الند الضد، وهو من الأضداد، والله تعالى بريء من المثل والضد، وأنتم تعلمون: أنه واحد خلق [٨] هذه الأشياء.

وإن كنتم في ريب، أي: [٩] شك [معناه: وإن كنتم] [١٠] ، لأن الله تعالى علم أنهم شاكون مما نزلنا، يعني: القرآن، على عبدنا: محمد [صلى الله عليه وسلم] ، فأتوا: أمر تعجيز، بسورة، والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر، من أسأرت [١١] ، أي: أفضلت [١٢] وحذفت الهمزة.

وقيل: السورة اسم للمنزلة الرفيعة، ومنه سور البلد لارتفاعه، سميت سورة لأن القارئ ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكماله سور القرآن، من مثله، أي: مثل القرآن، ومن:

صلة كقوله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم [النور: ٣٠] ، وقيل: الهاء في مثله راجعة إلى

---

(١) في المطبوع «أهل» .

(٢) في المطبوع «فمعناها» . [.....]

(٣) في المطبوع «لكي» .

(٤) في المطبوع «ادعوه» .

(٥) في المخطوط «وكونوا» .

(٦) في القاموس: الوطاء: خلاف الغطاء.

(٧) زيد في المطبوع «من» .

(٨) في المطبوع «خالق» .

(٩) زيد في المطبوع «وإن كنتم في» .

(١٠) سقط من المطبوع.

(١١) في المطبوع «أسارت» والتصويب عن «لسان العرب» (٤/ ٣٨٧) .

(١٢) كذا في المطبوع و «اللسان» (٤/ ٣٨٧) وهو الصواب.

وفي المخطوط- أ- «أفصلت» وفي- ب- «فصلت» .." (١)

١١. "بأعمالكم، قرأ يعقوب ترجعون [في] [١] كل القرآن بفتح الياء والتاء على تسمية الفاعل.

قوله تعالى: هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا [٢] ، لكي تعتبروا وتستدلوا، وقيل: لكي تنتفعوا، ثم استوى إلى السماء، قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء، وقال ابن كيسان والفراء وجماعة من النحويين: أي أقبل على خلق السماء، وقيل: قصد لأنه خلق الأرض أولا ثم عمد إلى خلق السماء، فسواهن سبع سماوات: [أي] خلقهن مستويات [٣] لا فطور فيها [٤] ولا صدوع، وهو بكل شيء عليم، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والكسائي وقالون (وهو، وهي) بسكون الهاء إذا كان قبل الهاء: واو أو فاء أو لام، زاد الكسائي وقالون [(ثم هو) وقالون] [٥] أن يمل هو [البقرة: ٢١٢] .

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٢]

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠) وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢)

قوله تعالى: وإذ قال ربك، أي: وقال ربك وإذ زائدة، وقيل: معناه واذكر إذ قال ربك، وكذلك **كل ما ورد في القرآن** من هذا النحو فهذا سبيله، وإذ وإذا حرفا توقيت إلا أن إذ للماضي وإذا للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر، قال المبرد: إذا جاء إذ مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله تعالى: وإذ يمكر [الأنفال: ٢٠] ، يريد وإذ مكر، وإذا

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث، البغوي ، أبو محمد ٩٣/١

جاء [إذا] مع الماضي كانت معناه مستقبلا كقوله: فإذا جاءت الطامة [النازعات: ٣٤] ، إذا جاء نصر الله [النصر: ١] ، أي: يجيء. للملائكة [والملائكة] [٦] جمع ملك، وأصله مألك من المألكة والألوكة والألوك: وهي الرسالة، فقلبت فقيل: ملأك، ثم حذفت الهمزة طلبا للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها إلى اللام: فقيل: «ملك» وأراد به الملائكة الذين كانوا في الأرض.

وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فعبدوا دهرا طويلا في الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا [واقتتلوا] [٧] ، فبعث الله إليهم جندا من الملائكة يقال لهم: الجن، وهم خزان الجنان اشتق لهم [اسم] [٨] من الجنة رأسهم إبليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما، فهبطوا إلى الأرض فطردوا الجن إلى شعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله إبليس [ملك] [٩] الأرض، وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب، وقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه، فقال الله له ولجنده:

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) زيد في المطبوع «للحي» .

(٣) في- أ- «سويات» .

(٤) في- أ- «فيهن» .

(٥) سقط من المخطوط.

(٦) زيادة عن المخطوط.

(٧) في المطبوع وط- «قتلوا» .

(٨) زيادة عن المخطوط.

(٩) زيادة عن المخطوط.." (١)

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث، البغوي ، أبو محمد ١٠١/١

١٢.	""كتاب الطَّاء ")

وَهُوَ سَبْعَة أَبْوَاب: -

(١٩٣ - بَاب الطاغوت (٨٤ / أ))

الطاغوت: اسْم مَأْخُوذ من الطغيان، والطغيان: مُجَاوزَة الْحَد. وَقد سمي الْكَافِر طاغوتا وَيُسمى بذلك السَّاحر، والصنم، والشيطان، **وكل مَا ورد** من الجِنّ وَالْإِنْس.

قَالَ ابْن قُتَيْبَة: كل معبود من حجر أَو صُورَة أَو شَيْطَان، فَهُوَ جبت وطاغوت. وَكَذَلِكَ حكى الزّجاج عَن أهل اللُّغَة.

وَذكر أهل التَّفْسِير أَن الطاغوت **فِي الْقُرْآن** على ثَلَاثَة أوجه: -

أَحدهَا: الْأَوْثَان. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي النَّحْل: ([أَن] اعبدوا الله." (١)

١٣.	"عابدين﴾ ، وَفِي سُورَة نوح: ﴿أَن اعبدوا الله واتقوه﴾ ، كَذَلِك **كل مَا ورد** فِي دُعَاء الْأَنْبِيَاء قَومهمْ.

وَالثَّانِي: الطَّاعَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْقَصَص: ﴿تبرأنا إِلَيْك مَا كَانُوا إيانا يعْبدُونَ﴾ ، وَفِي يس: ﴿أَن لَا تعبدوا الشَّيْطَان﴾ ، وَفِي سبأ: ﴿أَهَؤُلَاءِ إيَّاكُمْ كَانُوا يعْبدُونَ﴾ .

(٢٠٥ - بَاب الْعدوان)

الْعدوان: الظُّلم الصراح.

وَذكر بعض الْمُفَسّرين أَنه **فِي الْقُرْآن** على وَجْهَيْن:

أَحدهمَا: مَا ذكرنَا. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: ﴿تظاهرون عَلَيْهِم بالإثم والعدوان﴾ ، وَفِي الْمَائِدَة: ﴿وَلَا تعاونوا على الْإِثْم والعدوان﴾ .

وَالثَّانِي: السَّبِيل. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى [فِي الْبَقَرَة] : (فَلَا عدوان." (٢)

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي ص/٤١٠

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي ص/٤٣٢

١٤. "الإعراض عن المشركين، كما أن الأدلة التي ساقها المؤلف عن ابن عباس وقتادة في وقوع النسخ فيها تعم جميع الآيات المذكورة، حيث قالا: كل ما ورد في القرآن بمعنى الإعراض أو العفو منسوخ بآية السيف.

ومن المعلوم أن كلمة "يشبه" دالة على ميله إلى النسخ كما أن كلمة "زعموا" دالة إلى عدم قبوله النسخ، فكأن المؤلف تناقض مع نفسه في قضية واحدة وهي الإعراض عن المشركين، ويؤيد ذلك عرض المؤلف آية النجم في كتابيه التفسير والمختصر بنفس الأسلوب، والله أعلم.

وتبين مما ذكرنا، أن التزام المؤلف بالتصحيح والتضعيف ليس على إطلاقه بل هو محمول على الغالب، كما تبين لنا أن بعض الأخطاء التي دخلت في بعض كتبه نتيجة كثرة التأليف، قد دخلت في هذا الكتاب أيضا.

ومن خطته حذف كثير من الأسانيد خوف الملل وقد أدركنا ذلك فعلا حيث كان يترك الشيوخ بينه وبين الإمام أحمد وبينه وبين ابن أبي داود، وبينه وبين عبد الحميد وأبي حفص وأمثال ذلك كثير، وكل هؤلاء ليسوا من أقرانه.

ومن خطته أيضا ترتيب السور والآيات حسب ترتيب القرآن فقد التزم بذلك في جميع الكتاب إلا في آية واحدة فقط حيث قدم الآية (٥٤) من سورة الإسراء على آية (٣٤) منها ولعل ذلك سهو منه فسبحان من لا ينام ولا يسهو.." (١)

١٥. "تفسير الاستعاذة

إن قولنا: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) لا شك أن المراد منه الاستعاذة بالله من جميع المنهيات والمحظورات، ولا شك أن المنهيات إما أن تكون من باب/ الاعتقادات، أو من باب أعمال الجوارح، أما الاعتقادات فقد جاء في الخبر المشهور

قوله صلى الله عليه وسلم «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة: كلهم في النار إلا فرقة واحدة»

وهذا يدل على أن الاثنتين والسبعين موصوفون بالعقائد الفاسدة، والمذاهب الباطلة، ثم إن ضلال كل واحدة من أولئك الفرق غير مختص بمسألة واحدة، بل هو حاصل في مسائل

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي = ناسخ القرآن ومنسوخه، ابن الجوزي ٢/٦٤٠

كثيرة من المباحث المتعلقة بذات الله تعالى، وبصفاته، وبأحكامه، وبأفعاله، وبأسمائه، وبمسائل الجبر، والقدر، والتعديل، والتجويز، والثواب، والمعاد، والوعد، والوعيد، والأسماء، والأحكام، والإمامة، فإذا وزعنا عدد الفرق الضالة- وهو الاثنتان والسبعون- على هذه المسائل الكثيرة بلغ العدد الحاصل مبلغا عظيما، وكل ذلك أنواع الضلالات الحاصلة في فرق الأمة، وأيضا فمن المشهور أن فرق الضلالات من الخارجين عن هذه الأمة يقربون من سبعمائة، فإذا ضمت أنواع ضلالاتهم إلى أنواع الضلالات الموجودة في فرق الأمة في جميع المسائل العقلية المتعلقة بالإلهيات، والمتعلقة بأحكام الذوات والصفات بلغ المجموع مبلغا عظيما في العدد، ولا شك أن قولنا (أعوذ بالله) يتناول الاستعاذة من جميع تلك الأنواع، والاستعاذة من الشيء لا تمكن إلا بعد معرفة المستعاذ منه، وإلا بعد معرفة كون ذلك الشيء باطلا وقبيحا، فظهر بهذا الطريق أن قولنا: (أعوذ بالله) مشتمل على الألوف من المسائل الحقيقية اليقينية، وأما الأعمال الباطلة فهي عبارة عن **كل ما ورد** النهي عنه إما **في القرآن**، أو في الأخبار المتواترة، أو في أخبار الآحاد، أو في إجماع الأمة، أو في القياسات الصحيحة، ولا شك أن تلك المنهيات تزيد على الألوف، وقولنا (أعوذ بالله) متناول لجميعها وجملتها، فثبت بهذا الطريق أن قولنا (أعوذ بالله) مشتمل على عشرة آلاف مسألة أو أزيد أو أقل من المسائل المهمة المعتبرة.." (١)

١٦. "الصانع المختار المتكلم، وأما المحدث فإنما يبحث عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فرع على ثبوت نبوته صلى الله عليه وسلم، والفقيه إنما يبحث عن أحكام الله، وذلك فرع على التوحيد والنبوة، فثبت أن هذه العلوم مفتقرة إلى علم الأصول، والظاهر أن علم الأصول غني عنها فوجب أن يكون علم الأصول أشرف العلوم. وثالثها: أن شرف الشيء قد يظهر بواسطة خساسة ضده، فكلما كان ضده أخس كان هو أشرف وضد علم الأصول هو الكفر والبدعة، وهما من أخس الأشياء، فوجب أن يكون علم الأصول أشرف الأشياء. ورابعها: أن شرف الشيء قد يكون بشرف موضوعه وقد يكون لأجل شدة الحاجة إليه، وقد يكون لقوة براهينه، وعلم الأصول مشتمل على الكل وذلك لأن علم الهيئة أشرف

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، فخر الدين ٢٢/١

من علم الطب نظرا إلى أن موضوع علم الهيئة أشرف من موضوع علم الطب، وإن كان الطب أشرف منه نظرا إلى أن الحاجة إلى الطب أكثر من الحاجة إلى الهيئة، وعلم الحساب أشرف منهما نظرا إلى أن براهين علم الحساب أقوى. أما علم الأصول فالمطلوب منه معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، ومعرفة أقسام المعلومات من المعدومات والموجودات، ولا شك أن ذلك أشرف الأمور، وأما الحاجة إليه فشديدة لأن الحاجة إما في الدين أو في الدنيا، أما في الدين فشديدة لأن من عرف هذه الأشياء استوجب الثواب العظيم والتحق بالملائكة، ومن جهلها/ استوجب العقاب العظيم والتحق بالشياطين. وأما في الدنيا فلأن مصالح العالم إنما تنتظم عند الإيمان بالصانع والبعث والحشر، إذ لو لم يحصل هذا الإيمان لوقع الهرج والمرج في العالم، وأما قوة البراهين فبراهين هذا العلم يجب أن تكون مركبة من مقدمات يقينية تركيبا يقينيا وهذا هو النهاية في القوة فثبت أن هذا العلم مشتمل على جميع جهات الشرف والفضل فوجب أن يكون أشرف العلوم. وخامسها: أن هذا العلم لا يتطرق إليه النسخ ولا التغيير، ولا يختلف باختلاف الأمم والنواحي بخلاف سائر العلوم، فوجب أن يكون أشرف العلوم. وسادسها: أن الآيات المشتملة على مطالب هذا العلم وبراهينها أشرف من الآيات المشتملة على المطالب الفقهية بدليل أنه جاء في فضيلة قل هو الله أحد [الإخلاص: ١] وآمن الرسول [البقرة: ٢٨٥] وآية الكرسي ما لم يجيء مثله في فضيلة قوله: ويسئلونك عن المحيض [البقرة: ٢٢٢] وقوله: يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين [البقرة: ٢٨٢] وذلك يدل على أن هذا العلم أفضل. وسابعها: أن الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأما البواقي ففي بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين، وأما الآيات الواردة في القصص فالمقصود منها معرفة حكمة الله تعالى وقدرته على ما قال: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب [يوسف: ١١١] فدل ذلك على أن هذا العلم أفضل، ونشير إلى معاقد الدلائل: أما الذي يدل على وجود الصانع فالقرآن مملوء منه.

أولها: ما ذكر هاهنا من الدلائل الخمسة وهي خلق المكلفين وخلق من قبلهم، وخلق السماء وخلق الأرض، وخلق الثمرات من الماء النازل من السماء إلى الأرض، **وكل ما ورد في القرآن** من عجائب السماوات والأرض، فالمقصود منه ذلك، وأما الذي يدل على الصفات. أما

العلم فقوله: إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ثم أردفه بقوله: هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء [آل عمران: ٥، ٦] وهذا هو عين دليل المتكلمين فإنهم يستدلون بأحكام الأفعال وإتقانها على علم الصانع، وهاهنا استدل الصانع سبحانه بتصوير الصور في الأرحام على كونه عالما بالأشياء، وقال: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير [الملك: ١٤] وهو عين تلك الدلالة وقال: وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو [الأنعام: ٥٩] وذلك تنبيه على كونه تعالى عالما بكل المعلومات، لأنه تعالى مخبر عن المغيبات فتقع تلك الأشياء على وفق ذلك الخبر، فلولا كونه." (١)

١٧. "يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت، فجاء هذا الكلام على سبيل إطباق الجواب على السؤال، وهذا فن بديع من الكلام، ثم قال القاضي ما لا يجوز على الله من هذا الجنس إثباتا فيجب أن لا يطلق على طريق النفي أيضا عليه، وإنما يقال إنه لا يوصف به فأما أن يقال لا يستحي ويطلق عليه ذلك فمحال، لأنه يوهم نفي ما يجوز عليه وما ذكره الله تعالى من كتابه في قوله: لا تأخذه سنة ولا نوم [البقرة: ٢٥٥] وقوله:

لم يلد ولم يولد [الإخلاص: ٣] فهو بصورة النفي وليس بنفي على الحقيقة وكذلك قوله: ما اتخذ الله من ولد [المؤمنون: ٩١] وكذلك قولك: وهو يطعم ولا يطعم [الأنعام: ١٤] وليس كل ما ورد في القرآن إطلاقه جائزا أن يطلق في المخاطبة فلا يجوز أن يطلق ذلك إلا مع بيان أن ذلك محال، ولقائل أن يقول: لا شك في أن هذه الصفات منفية عن الله سبحانه فكان الإخبار عن انتفائها صدقا فوجب أن يجوز. بقي أن يقال إن الإخبار عن انتفائها يدل على صحتها عليه فنقول: هذه الدلالة ممنوعة وذلك لأن تخصيص هذا النفي بالذكر لا يدل على ثبوت غيره بل لو قرن باللفظ ما يدل على انتفاء الصحة أيضا كان ذلك أحسن من حيث إنه يكون مبالغة في البيان وليس إذا كان غيره أحسن أن يكون ذلك قبيحا.

المسألة الثالثة: اعلم أن ضرب الأمثال من الأمور المستحسنة في العقول ويدل عليه وجوه:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، فخر الدين ٣٢٤/٢

أحدها:

إطباق العرب والعجم على ذلك أما العرب فذلك مشهور عندهم وقد تمثلوا بأحقر الأشياء، فقالوا في التمثيل بالذرة: أجمع من ذرة، وأضبط من ذرة، وأخفى من الذرة وفي التمثيل بالذباب: أجرأ من الذباب، وأخطأ من الذباب، وأطيش من الذباب، وأشبه من الذباب بالذباب، وألح من الذباب. وفي التمثيل بالقراد، أسمع من قراد، وأصغر من قراد. وأعلق من قراد. وأغم من قراد، وأدب من قراد، وقالوا في الجراد: أطير من جرادة، وأحطم من جرادة، وأفسد من جرادة. وأصفى من لعاب الجراد، وفي الفراشة: أضعف من فراشة، وأطيش من فراشة، وأجهل من فراشة، وفي البعوضة. أضعف من بعوضة، وأعز من مخ البعوضة، وكلفني مخ البعوضة، في مثل تكليف ما لا يطاق: وأما العجم فيدل عليه «كتاب كليلة ودمنة» وأمثاله، وفي بعضها: قالت البعوضة، وقد وقعت على نخلة عالية وأرادت أن تطير عنها، يا هذه استمسكي فإني أريد أن أطير، فقالت النخلة: والله ما شعرت بوقوعك فكيف أشعر بطيرانك، وثانيها: أنه ضرب الأمثال في إنجيل عيسى عليه السلام بالأشياء المستحقرة، قال: مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع في قريته حنطة جيدة نقية، فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة، فلما نبت الزرع وأثمر العشب غلب عليه الزوان، فقال عبيد الزراع، يا سيدنا أليس حنطة جيدة نقية زرعت في قريتك؟ قال: بلى، قالوا: فمن أين هذا الزوان؟ قال: لعلكم إن ذهبتم أن تقلعوا الزوان فتقلعوا معه الحنطة فدعوهما يتربيان/ جميعا حتى الحصاد فأمر الحصادين أن يلتقطوا الزوان من الحنطة وأن يربطوه حزما ثم يحرقوه بالنار ويجمعوا الحنطة إلى الخزائن. وأفسر لكم ذلك الرجل الذي زرع الحنطة الجيدة هو أبو البشر، والقرية هي العالم، والحنطة الجيدة النقية هو نحن أبناء الملكوت الذي يعملون بطاعة الله تعالى، والعدو الذي زرع الزوان هو إبليس، والزوان هو المعاصي التي يزرعها إبليس وأصحابه، والحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى تدنوا آجالهم فيحصدون أهل الخير إلى ملكوت الله، وأهل الشر إلى الهاوية وكما أن الزوان يلتقط ويحرق بالنار كذلك رسل الله وملائكته

يلتقطون من ملكوته المتكاسلين، وجميع عمال الإثم فيلقونهم في أتون الهاوية فيكون هنا لك البكاء، وصريف الأسنان، ويكون الأبرار هنالك في ملكوت." (١)

١٨. "ومنه قوله تعالى: وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم [المائدة: ٦٤] أي هو بخيل بل يداه مبسوطتان [المائدة: ٦٤] أي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط، والتفسير بالنعمة والتمحل بالتسمية من ضيق العطن. وأقول: إنا لو فتحنا هذا الباب لانفتحت تأويلات الباطنية فإنهم أيضا يقولون المراد من قوله: فاخلع نعليك [طه: ١٢] الاستغراق في خدمة الله تعالى من غير تصور فعل، وقوله: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم [ابراهيم: ٦٩] المراد منه تخليص إبراهيم عليه السلام من يد ذلك الظالم من غير أن يكون هناك نار وخطاب البتة، وكذا القول في **كل ما ورد** في كتاب الله تعالى، بل القانون أنه يجب حمل كل لفظ ورد **في القرآن** على حقيقته إلا إذا قامت دلالة عقلية قطعية توجب الانصراف عنه، وليت من لم يعرف شيئا لم يخض فيه، فهذا تمام الكلام في هذه الآية، ومن أراد الاستقصاء في الآيات والأخبار المتشابهات فعليه بكتاب تأسيس التقديس وبالله التوفيق. أما قوله تعالى: له ما في السماوات وما في الأرض وما/ بينهما وما تحت الثرى فاعلم أنه سبحانه لم شرح ملكه بقوله: الرحمن على العرش استوى والملك لا ينتظم إلا بالقدرة والعلم، لا جرم عقبه بالقدرة ثم بالعلم. أما القدرة فهي هذه الآية والمراد أنه سبحانه مالك لهذه الأقسام الأربعة فهو مالك لما في السموات من ملك ونجم وغيرهما، ومالك لما في الأرض من المعادن والفلزات «١» ومالك لما بينهما من الهواء. ومالك لما تحت الثرى، فإن قيل الثرى هو السطح الأخير من العالم فلا يكون تحته شيء فكيف يكون الله مالكا له قلنا: الثرى في اللغة التراب الندي فيحتمل أن يكون تحته شيء وهو إما الثور أو الحوت أو الصخرة أو البحر أو الهواء على اختلاف الروايات، أما العلم فقوله تعالى: وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى وفيه قولان، أحدهما: أن قوله: وأخفى بناء المبالغة، وعلى هذا القول نقول إنه تعالى قسم الأشياء إلى ثلاثة أقسام: الجهر، والسر. والأخفى. فيحتمل أن يكون المراد من الجهر القول الذي يجهر به، وقد يسر في النفس وإن ظهر البعض، وقد يسر ولا يظهر على

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، فخر الدين ٢/٣٦٢

ما قال بعضهم. ويحتمل أن يكون المراد بالسر وبالأخفى ما ليس بقول وهذا أظهر فكأنه تعالى بين أنه يعلم السر الذي لا يسمع وما هو أخفى منه فكيف لا يعلم الجهر، والمقصود منه زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة، والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والأخفى على ما فيه ثواب أو عقاب، والسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها، والأخفى هو الذي لم يبلغ حد العزيمة، ويحتمل أن يفسر الأخفى بما عزم عليه وما وقع في وهمه الذي لم يعزم عليه، ويتحمل ما لم يقع في سره بعد فيكون أخفى من السر، ويحتمل أيضا ما سيكون من قبل الله تعالى من الأمور التي لم تظهر، وإن كان الأقرب ما قدمناه مما يدخل تحت الزجر والترغيب . القول الثاني: أن أخفى فعل يعني أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه وهو كقوله: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه [البقرة: ٢٥٥] فإن قيل كيف يطابق الجزاء الشرط؟ قلنا معناه إن تجهر بذكر الله تعالى من دعاء أو غيره، فاعلم أنه غني عن جهرك، وإما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله: واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول [الأعراف: ٢٠٥] وإما تعليما للعباد أن الجهر ليس لاستماع الله تعالى، وإنما هو لغرض آخر، واعلم أن الله تعالى لذاته عالم وأنه عالم بكل المعلومات في كل الأوقات بعلم واحد وذلك العلم غير متغير، وذلك العلم من

---

(١) في الأصل الأميري: والفلوات جمع فلاة وهي الخلاء والفضاء في الأرض كالصحاري لا نبات بها، وهي محرفة عن الفلزات، وهي جواهر الأرض وعناصرها المكونة منها.." (١)

١٩. "وأما المعقول فمن وجوه: الأول: وهو أن وقت النوم يضعف البدن، وضعفه لا يقتضي ضعف النفس، بل النفس تقوى وقت النوم فتشاهد الأحوال وتطلع على المغيبات، فإذا كان ضعف البدن لا يوجب ضعف النفس، فهذا يقوي الظن في أن موت البدن لا يستعقب موت النفس. الثاني: وهو أن كثرة الأفكار سبب لجفاف الدماغ، وجفافه يؤدي إلى الموت، وهذه الأفكار سبب لاستكمال النفس بالمعارف الإلهية، وهو غاية كمال النفس،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، فخر الدين ١٠/٢٢

فما هو سبب في كمال النفس فهو سبب لنقصان البدن، وهذا يقوي الظن في أن النفس لا تموت بموت البدن. الثالث: أن أحوال النفس على ضد أحوال البدن، وذلك لأن النفس إنما تفرح وتبتهج بالمعارف الإلهية، والدليل عليه قوله تعالى: ألا بذكر الله تطمئن القلوب [الرعد: ٢٨]

وقال عليه الصلاة والسلام: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»

ولا شك أن ذلك الطعام والشراب ليس إلا عبارة عن المعرفة والمحبة والاستنارة بأنوار عالم الغيب وأيضا، فإنا نرى أن الإنسان إذا غلب عليه الاستبشار بخدمة سلطان، أو بالفوز بمنصب، أو بالوصول إلى معشوقه، قد ينسى الطعام والشراب، بل يصير بحيث لو دعي إلى الأكل والشرب لوجد من قلبه نفرة شديدة منه، والعارفون المتوغلون في معرفة الله تعالى قد يجدون من أنفسهم أنهم إذا لاح لهم شيء من تلك الأنوار، وانكشف لهم شيء من تلك الأسرار، لم يحسوا البتة بالجوع والعطش وبالجملة فالسعادة النفسانية كالمضادة للسعادة الجسمانية، وكل ذلك يغلب على الظن أن النفس مستقلة بذاتها ولا تعلق لها بالبدن، وإذا كان كذلك وجب أن لا تموت النفس بموت البدن، ولتكن هذه الإقناعيات كافية في هذا المقام.

واعلم أنه متى تقررت هذه القاعدة زالت الإشكالات والشبهات عن كل ما ورد في القرآن من ثواب القبر وعذابه، وإذا عرفت هذه القاعدة فنقول: قال بعض المفسرين: أرواح الشهداء أحياء/ وهي تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة، والدليل عليه ما

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا نام العبد في سجوده باهى الله تعالى به ملائكته ويقول انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده في خدمتي.

واعلم أن الآية دالة على ذلك وهي قوله: أحياء عند ربهم ولفظ «عند» فكما أنه مذكور هاهنا فكذا في صفة الملائكة مذكور وهو قوله: ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته [الأنبياء: ١٩] فإذا فهمت السعادة الحاصلة للملائكة بكونهم عند الله، فهمت السعادة الحاصلة للشهداء بكونهم عند الله، وهذه كلمات تفتح على العقل أبواب معارف الآخرة.

الوجه الثالث: في تفسير هذه الآية عند من يثبت هذه الحياة للأجساد، والقائلون بهذا القول اختلفوا، فقال بعضهم: إنه تعالى يصعد أجساد هؤلاء الشهداء إلى السموات وإلى قناديل

تحت العرش ويوصل أنواع السعادة والكرامات إليها، ومنهم من قال: يتركها في الأرض ويحييها ويوصل هذه السعادات إليها، ومن الناس من طعن فيه وقال: إنا نرى أجساد هؤلاء الشهداء قد تأكلها السباع، فإما أن يقال إن الله تعالى يحييها حال كونها في بطون هذه السباع ويوصل الثواب إليها، أو يقال: إن تلك الأجزاء بعد انفصالها من بطون السباع يركبها الله تعالى، ويؤلفها ويرد الحياة إليها ويوصل الثواب إليها، وكل ذلك مستبعد، ولأنا قد نرى الميت المقتول باقيا أياما إلى أن تنفسخ أعضاؤه وينفصل القيح والصديد، فإن جوزنا كونها حية متنعمة عاقلة عارفة لزم القول بالسفسطة.

الوجه الرابع: في تفسير هذه الآية أن نقول: ليس المراد من كونها أحياء حصول الحياة فيهم، بل المراد بعض المجازات وبيانه من وجوه: الأول: قال الأصم البلخي: إن الميت إذا كان عظيم المنزلة في الدين،." (١)

٢٠. "٧٩- وَقَالَ حَنْبَلٌ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ ، وَ ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ، قَالَ: عِلْمُهُ (١) ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، عِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، عَلَّامُ الْغُيُوبِ، يَعْلَمُ الْغَيْبَ، رَبُّنَا عَلَى الْعَرْشِ بِلَا حَدٍّ وَلَا صِفَةٍ (٢) .

٨٠- وَرُوِيَ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى الْبَغْدَادِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَقُدْرَتُهُ وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، عَلَى الْعَرْشِ (وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ) (٣) ، لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ (٤) .

---

(١) في الأصل: (علمه علمه) بالتكرار.

(٢) أورده ابن تيمية في شرح حديث النزول ص ١٢٧، ط. الخامسة، سنة ١٣٩٧هـ، المكتب الإسلامي، والذهبي في العلو ص ١٣٠، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٣٥.

(٣) من (هـ) .

(٤) أورده الذهبي في العلو ص ١٣٠، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٣٥،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، فخر الدين ٤٢٨/٩

وعزاه إلى الخلال في كتاب السنة.

وقد بسط الإمام أحمد –رحمه الله– الكلام على معنى المعية في كتابه الرد على الجهمية ص ١٤٠-١٤٤.

كما أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية معنى المعية في هاتين الآيتين خاصة، وفي **كل ما ورد** من لفظ المعية في كتاب الله تعالى، فأوضح أن المعية معيتان: معية عامة، وأخرى خاصة، وضرب لذلك أمثلة مما ورد **في القرآن** الكريم، فقال –رحمه الله–: ولفظ المعية في كتاب الله جاء عاما كما في هاتين الآيتين، وجاء خاصا كما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل/ ١٢٨. وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ طه/ ٤٦، وقوله: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ، التوبة/ ٤٠، فلو كان المراد أنه بذاته مع كل شيء، لكان التعميم يناقض التخصيص، فإنه قد علم أن قوله: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ أراد تخصيصه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل/ ١٢٨، خصهم بذلك دون الظالمين والفجار، وأيضا فلفظ المعية ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى، كما في قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ، الفتح/ ٢٩،." (١)

٢١. "الله تعالى وأحكمه بما أنزل في كتابه من الآيات الدالة على توحيده ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يعني الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود. وقيل أراد به قطع الأرحام التي أمر الله بوصلها ويفسدون في الأرض يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أولئك هم الخاسرون أي المغبونون. وأصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٨ الى ٢٩]

كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون (٢٨) هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء

---

(١) إثبات صفة العلو - ابن قدامة، المقدسي، موفق الدين ص/١٦٧

عليم (٢٩)

كيف تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى: وكنتم أمواتا يعني نطفا في أصلاب آبائكم فأحياكم يعني في الأرحام والدنيا ثم يميتكم أي عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم يعني بعد الموت للبعث ثم إليه ترجعون أي تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم. قوله عز وجل: هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الأرض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا أما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها ثم استوى إلى السماء أي قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد، وقال ابن عباس: ارتفع وفي رواية عنه صعد. قال الأزهري معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك أن الله تعالى خلق الأرض أولا ثم عمد إلى خلق السماء. فإن قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى: والأرض بعد ذلك دحاها قلت: الدحو البسط فيحتمل أن الله تعالى خلق جرم الأرض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الأرض بعد ذلك، فإن قلت هذا مشكل أيضا لأن قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا يقتضي أن ذلك لا يكون إلا بعد الدحو. قلت: يحتمل أنه ليس هنا ترتيب وإنما هو على سبيل تعداد النعم كقوله الرجل لمن يذكره ما أنعم به عليه: ألم أعطك؟ ألم أرفع قدرك؟ ألم أدفع عنك؟ ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم فسواهن سبع سماوات خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتي ذكر خلق الأرض عند قوله تعالى: قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين في سورة حم السجدة إن شاء الله تعالى وهو بكل شيء عليم يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات قوله تعالى:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٢]

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠) وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢)

وإذ قال ربك أي واذكر يا محمد إذ قال ربك **وكل ما ورد في القرآن** من هذا النحو فهذا سبيله، وقيل إذ زائدة والأول أوجه للملائكة جمع ملك وأصله مألك من المألكة والألوكة وهي لفظ البغوي وهي الرسالة وأراد بالملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك أن الله تعالى خلق الأرض والسماء وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض، فعبدوا دهرا طويلا، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا، فبعث." (١)

٢٢. "لا تجزي لا تغني. وشيئا مفعول به أو صفة لمصدر محذوف، والجملة في موضع الصفة، وحذف الضمير أي فيه ولا يقبل منها شفاعة ليس نفي الشفاعة مطلقا، فإن مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه واله وسلم لقوله تعالى: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه [البقرة: ٢٥٥] ولقوله: ما من شفيع إلا من بعد إذنه [يونس: ٣] ولقوله: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له [سبأ: ٢٣] وانظر ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يستأذن في الشفاعة فيقال له: اشفع تشفع. **فكل ما ورد في القرآن** من نفي الشفاعة مطلقا يحمل على هذا لأن المطلق يحمل على المقيد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعة عدل هنا فدية ولا هم ينصرون جمع لأن النفس المذكورة يراد بها نفوس وإذ نجيناكم تقديره: اذكروا إذ نجيناكم أي: نجينا آباءكم، وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي صلى الله عليه واله وسلم منهم لأنهم ذريتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم، فحكمهم كحكمهم، وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم، لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء، ومن ذكر مساويهم لأن ذريتهم راضون بها من آل فرعون المراد من فرعون واله، وحذف لدلالة المعنى، وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لا قرابته خاصة، ويقال إن اسمه الوليد بن مصعب، وهو من ذرية عمليق، ويقال فرعون لكل من ولي مصر، وأصل آل: ثم هل أبدلت من الهاء همزة وأبدل من الهمزة ألف.

فائدة: كل ما ذكره في هذه الصور من الأخبار معجزات للنبي صلى الله عليه واله وسلم لأنه أخبر بها من غير تعلم يسومونكم سوء العذاب أي يلزمونهم به، وهو استعارة من السوم في

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ٣٤/١

البيع، وفسر سوء العذاب بقوله: يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ولذلك لم يعطفه هنا، وأما حيث عطفه في سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير ذلك بل فيكون عطف مغايرة، أو أراد به ذلك، وعطف لاختلاف اللفظة، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل «١» وقيل إن آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذريته ملوكا وأنبياء فحسدوهم على ذلك، وروي أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهن، وقيل: بل وكل على ذلك القوابل، ولأجل هذا قيل معنى يستحيون: يفتشون الحياة ضد الموت فرقنا بكم البحر فصلناه وجعلناه فرقا اثنى عشر طريقا، على عدد الأسباط، والباء سببية أو للمصاحبة، والبحر المذكور هنا: هو بحر القلزم «٢»

وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة هي شهر ذي القعدة وعشر ذي الحجة، وإنما

---

(١) . ويعرف الآن بالبحر الأحمر.

(٢) . في الكلام هنا نقص، وتكملته من الطبري: أن فرعون رأى رؤيا هالته فعبرها له الكهنة بأنه: يولد في بني إسرائيل غلام يكون هلاك فرعون على يده. فأمر عند ذلك بذبح الصبيان من مواليد بني إسرائيل كما هو مشهور.." (١)

٢٣. "وقرأ أبو معاذ «قولا لينا» وهو تخفيف من لين كميت في ميت.

وقوله: ﴿لعله﴾ فيه أوجه، أحدها: أن «لعل» على بابها من الترجي: وذلك بالنسبة إلى المرسل، وهو موسى وهارون أي: اذهبا على رجائكما وطمعكما في إيمانه، اذهبا مترجيين طامعين، وهذا معنى قول الزمخشري، ولا يستقيم أن يرد ذلك في حق الله تعالى إذ هو عالم بعواقب الأمور، وعن سيبويه: «كل ما ورد في القرآن من لعل وعسى فهو من الله واجب» ، يعني أنه مستحيل بقاء معناه في حق الله تعالى. والثاني: أن لعل بمعنى كي فتفيد العلة.." (٢)

٢٤. "على بدايات الأعراض، مثاله: حالة تحصل للإنسان، ولكن هل لها مبدأ ومنتهى، أما المبدأ فهو التغير الجسماني الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إليه القبيح، وأما

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ٨٣/١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٤٢/٨

النهاية فهو أن يترك الإنسان ذلك الفعل، فإذا ورد الحياء في حق الله تعالى، فليس المراد منه ذلك الخوف الذي هو مبدأ الحياء ومقدمته، بل ترك الفعل الذي هو منتهاه وغايته، وكذلك الغضب [له مقدمة] وهو غليان دم القلب وشهوة الانتقام وله غاية، وهي إنزال العقاب بالمغضوب عليه، فإذا وصفنا الله – تعالى – بالغضب، فليس المراد ذلك المبدأ، يعني شهوة الانتقام، وغليان دم القلب، بل المراد تلك النهاية، وهي إنزال العقاب، فهذا هو القانون الكل في هذا الباب» .

فصل في تنزيه الخالق سبحانه

قال القاضي: ما لا يجوز على الله – تعالى – من هذا الجنس إثباتا، فيجب ألا يطلق على طريقة النفي عليه، وإنما يقال: إنه – تعالى – لا يوصف به، فأما أن يقال: «لا يستحي» ويطلق عليه فمحال؛ لأنه يوهم نفي ما يجوز عليه، وما ذكره الله – تعالى – في كتابه من قوله: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، ﴿لم يلد ولم يولد﴾ [الإخلاص: ٣] فهو بصورة النفي، وليس بنفي على الحقيقة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ [المؤمنون: ٩١] ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾ [الأنعام: ١٤] وليس كل ما ورد في القرآن جائز أن يطلق في المخاطبة، فلا يجوز أن يطلق ذلك إلا مع بيان أن ذلك محال.

ولقائل أن يقول: لا شك أن هذه الصفات منتفية عن الله تعالى، فكان الإخبار عن انتفائها يدل على صحتها عليه.

فنقول: هذه الدلالة ممنوعة، وذلك أن تخصيص هذا النفي بالذكر، لا يدل على ثبوته لغيره، لو قرن اللفظ بما يدل على انتفاء الصحة كان ذلك أحسن، من حيث إنه يكون مبالغة في البيان، وليس إذا كان غيره أحسن أن يكون ذلك قبيحا.

فصل في إعراب الآية

قوله: «لا يستحيي» جملة في محل الرفع خبرا ل «أن» ، واستفعل هنا للإغناء عن الثلاثي المجرد.

وقال الزمخشري: «إنه موافق له أي: قد ورد» حيي «، و» استحيي «بمعنى واحد، والمشهور: استحيي يستحيي فهو مستحي ومستحيي منه من غير حذف» .." (١)

٢٥. "قوله: ﴿فقولا له قولا لينا﴾ قرأ أبو معاذ «قولا لينا» وهو تخفيف من لين كميت في ميت.

وقوله: «لعله» فيه أوجه:

أحدها: أن «لعل» على بابها للترجي، وذلك بالنسبة إلى المرسل وهو موسى وهارون، أي اذهبا على رجائكماوطمعكما في إيمانه أي اذهبا مترجين طامعين، وهذا معنى قول الزمخشري ولا يستفقيم أن يرد ذلك في حق الله تعالى، إذ هو عالم بعواقب الأمور. وعن سيبويه: كل ما ورد في القرآن من (لعل، وعسى) فهو من عند الله واجب. يعني أنه يستحيل بقاء معناه في حق الله تعالى.

والثاني: أن «لعل» بمعنى (كي) فتفيد العلية، وهذا قول الفراء قال: كما تقول: اعمل لعلك تأخذ أجرك، أي: كي تأخذ.

والثالث: أنها استفهامية، أي: هل يتذكر أو يخشى؟

وهذا قول ساقط، وذلك أنه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى كما يستحيل الترجي، فإذا كان لا بد من التأويل فجعل اللفظ على مدلوله باقيا أولى من إخراجه عنه.

فإن قيل: لم أمر الله تعالى باللين مع الكافر الجاحد؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه قد ربى موسى – عليه السلام – فأمره أن يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق، وهاذ تنبيه على نهاية تعظيم حق الأبوين.." (٢)

٢٦. "أن يعبدوه فضلا عن أن يخصوه بزيادة التعظيم ومنبه لهم على أن المتكسرة متمكن فيها الضعف والعجز منادى عليها بالفناء منسلخة عن ربقة الدفع فضلا عن إيصال الضرر والنفع وما هذا سبيله حقيق أن ينظر إليه بعين التحقير لا التوقير والفعل ينسب إلى الحامل عليه كما ينسب إلى الفاعل والمفعول والمصدر والزمان والمكان والسبب إذ للفعل بهذه الأمور تعلقات وملابسات يصح الإسناد إليها على وجه الاستعارة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤٦١/١

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٢٥٣/١٣

الثالث: أنه لما رأى عليه السلام منهم بادرة تعظيم الأكبر لكونه أكمل من باقي الأصنام وعلم أن ما هذا شأنه يصان أن يشترك معه من دونه في التبجيل والتكبير حمله ذلك على تكسيرها منبها لهم على أن الله أغير وعلى تمحيق الأكبر أقدر وحري أن يخص بالعبادة فلما كان الكبير هو الحامل على تكسير الصغير صحت النسبة إليه على ما سلف ولما تبين لهم الحق رجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون إذ وضعتم العبادة بغير موضعها

وذكر الشيخ عبد القاهر أن السؤال إذا كان ملفوظا به فالأكثر ترك الفعل في الجواب والاقتصار على الاسم وحده وإن كان مضمرا فوجب التصريح بالفعل لضعف الدلالة عليه فتعين أن يلفظ به

وهو مشكل بقوله تعالى: ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾ فيمن قرأها بفتح الباء كأنه قيل من يسبحه فقيل يسبحه رجال ونظيره ضرب زيد وعمرو على بناء ضرب للمفعول نعم الأولى ذكر الفعل لما ذكر وعليه يخرج **كل ما ورد في القرآن** من لفظ قال مفصولا غير منطوق به نحو ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال." (١)

٢٧. "وإن صح فليس في الآية نفي الزائد مع أنه إن ضم إليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وقوله تعالى: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ أي: مجملا ومفصلا فيه تعليل كأنه قال: ولكونه عالما بكيفية الأشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل والوجه الأنفع واستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الأنيق كان عليما فإن إتقان الأفعال وإحكامها وتخصيصها بالوجه الأحسن الأنفع لا يتصور إلا من عالم حكيم رحيم أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادر على إعادتكم. وقرأ حمزة والكسائي ثم استوى وفسواهن بالإمالة، وورش بالفتح وبين اللفظين، والباقون بالفتح، وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي وهو بسكون الهاء، والباقون بضمها، ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿إذ قال ربك للملائكة﴾ وقيل: إذ زائدة أي: وقال ربك: **وكل ما ورد في القرآن** من هذا النحو فهذا سبيله وهو إلا إما يقدر اذكر وهو الأولى أو تكون إذ مزيدة وإذ وإذا ظرفا توقيت إلا أن إذ للماضي وإذا للمستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر، قال المبرد: إذا جاء إذ

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين ٥١/٤

مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله تعالى: ﴿وإذ يمكر﴾ (الأنفال، ٣٠) يعني: وإذ مكروا، وإذا جاء إذا مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله﴾ (الفتح، ١) أي: سيجيء، وقرأ أبو عمرو بإدغام اللام في الراء بخلاف عنه، والباقون بالإظهار، والملائكة جمع ملك أصله ملاك والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الألوكة وهي الرسالة لأنهم وسايط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسل الله أو

كالرسل إليهم لتوسط الأنبياء بينهم وبين الناس واختلف

العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام لطيفة شفافة ويعبرون عنها بنورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة والجن قادرة على ذلك واستدلوا على ذلك بأن الرسل كانوا يرونهم أجساما لطيفة متشكلة بأشكال مختلفة وزعم الحكماء - يعني الفلاسفة - أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة، وقالت طائفة من النصارى: هي النفوس الفاضلة أي: المتصفة بفضائل العلم والعمل، بخلاف الشريرة فإنها عندهم: الشياطين البشرية الناطفة. قوله: البشرية وما بعده صفة للنفوس المفارقة للأبدان يعني: ما دامت في الأبدان تسمى النفوس، فإذا فارقتها كانت الملائكة، والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص، وقيل: ملائكة الأرض وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن في الأرض فمكثوا فيها دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا فيها فبعث الله تعالى إليهم جندا من الملائكة يقال له: الجن وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة رأسهم إبليس فكان رئيسهم ومن أشدهم وأكثرهم علما فهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن إلى شعوب الجبال وبطون الأودية وجزائر البحور وسكنوا الأرض وخفف الله تعالى عنهم العبادة وأعطى الله تعالى إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال: ما أعطاني الله تعالى هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه فقال الله." (١)

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٤٤/١

٢٨. "كانت تصير ثعبانا وهذه آية أخرى ثم إنه عليه السلام كان يدخل يده في فمها فما كانت تضره فهذه آية أخرى ثم كانت تنقلب خشبة فهذه آية أخرى وكذلك اليد فإن بياضها آية وشعاعها آية أخرى ثم زوالها بعد ذلك آية أخرى فدل ذلك على أنها كانت آيات كثيرة.

وقيل: الآيات العصا واليد وحل عقدة لسانه وقيل: معناه أمدكما بآياتي وأظهر على أيديكما من الآيات ما تنزاح به العلل من فرعون وقومه ﴿ولاتنيا﴾ أي: لا تفترا ولا تقصرا ﴿في ذكري﴾ أي: بتسبيح وغيره فإن من ذكر جلال الله استخف غيره فلا يخاف أحدا وتقوى روحه بذلك الذكر فلا تضعف في مقصوده، ومن ذكر الله لا بد وأن يكون ذاكر إحسانه، وذاكر إحسانه لا يفتر في أداء أوامره وقيل: لاتنيا في ذكرى عند فرعون بأن تذكرا لفرعون وقومه أن الله لا يرضى منهم الكفر وتذكرا لهم أمر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب وقيل: المراد بالذكر تبليغ الرسالة

﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ أي: بادعاء الربوبية

تنبيه: ذكر الله تعالى المذهوب إليه هنا وهو فرعون وحذفه في قوله اذهب أنت وأخوك بآياتي اختصارا في الكلام وقال القفال فيه وجهان؛ أحدهما: أن قوله اذهب أنت وأخوك بآياتي يحتمل أن يكون كل واحد منهما مأمورا بالذهاب على الانفراد فقيل مرة أخرى اذهبا لتعرفا أن المراد منه أن يشتغلا بذلك جميعا لا أن ينفرد به أحدهما دون الآخر والثاني: أن قوله اذهب أنت وأخوك بآياتي أمر بالذهاب إلى كل الناس من بني إسرائيل وقوم فرعون ثم إن قوله تعالى: اذهبا إلى فرعون أمر بالذهاب إلى فرعون وحده واستبعد هذا بل الذهابان متوجهان لشيء واحد وقد حذف من كل من الذهابين ما أثبته في الآخر وقيل: إنه حذف المذهوب إليه من الأول وأثبته في الثاني، وحذف المذهوب به وهو بآياتي من الثاني وأثبته في الأول.

﴿فقولا له قولا لينا﴾ أي: مثل ﴿هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ (النازعات: ١٨، ١٩)

فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة، فإن قيل: لم أمر الله تعالى باللين مع الكافر الجاحد؟ أجيب: بأن عادة الجبار إذا أغلظ عليه في الوعظ يزداد عتوا وتكبرا فأمر باللين حذرا من أن

تحمله الحماقة على أن يسطو عليهما واحتراما لما له من حق التربية وقيل: كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل: عداه شبابا لا هرم بعده وملكا لا يزول إلا بالموت وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذي دعاه إليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فغلبه على رأيه وقوله تعالى: ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ متعلق باذهبا أو قولا أي: باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويسعى بأقصى وسعه، قال الزمخشري: ولا يستقيم أن يراد ذلك في حق الله تعالى إذ هو عالم بعواقب الأمور، وعن سيبويه **كل ما ورد في القرآن** من لعل وعسى فهو من الله واجب بمعنى أنه يستحيل بقاء معناه في حق الله تعالى وقال الفراء: إن لعل بمعنى كي فتفيد العلية كما تقول اعمل لعلك تأخذ أجرتك.

فائدة: قرأ رجل عند يحي بن معاذ ﴿فقولا له قولا." (١)

٢٩. "﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ إثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شأنه إلى ثلاث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق وأخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والأحوال وبين مالهم من المصير والمآل أقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم إلى الإصغاء وتوجيها لقوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فأمرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الإشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد إما إجلالا كما في قول الداعي يا ألله ويا رب وهو أقرب إليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين وإما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على أن ما يعقبه أمر خطير يعتنى بشأنه وأي اسم مبهم جعل وصله إلى نداء المعروف باللام لا على أنه المنادى أصالة بل على أنه صفة موضحة له مزيلة لإبهامه والتزام رفعه مع انتصاب موصوفه محلا إشعارا بأنه

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٤٦٤/٢

المقصود بالنداء وأقحمت بينهما كلمة التنبيه تأكيدا لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه أي من المضاف إليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من أسباب المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا **وكل ما ورد** في تضاعيفه على العباد من الأحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بأن تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الأبية ويتلقوها بآذان واعية وأكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتأكيد في الإيقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما أن الجموع وأسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ واستدلال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بعمومها شائعا ذائعا وأما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وإنما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم إلى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من أن كل ما نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي إذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه بأهلها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار إذ لم يكن كل أهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الأمر لما أن المأمور به القدر المشترك الشامل لإنشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع أنها متكررة حسب تكرر أسبابها ولا في انتفاء شرطها في الآخرين منهم أعني الإيمان لأن الأمر بها منتظم للأمر بما لا تم إلا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فإن أمر المحدث بالصلاة مستتبع للأمر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم أفعال القلب أيضا لما أنها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن **كل ما ورد** **في القرآن** من العبادات فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا وأطيعوا ولا في كون بعض من الفرقتين الأخيرتين ممن لا يجدي فيهم الإنذار بموجب النص القاطع لما أن الأمر لقطع الأعذار." (١)

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٥٨/١

٣٠. "ألم تر كيف فعل ربك بعاد

الخ فإنه استشهاد بعلمه عليه الصلاة والسلام بما يدل عليه من تعذيب عاد وأضرابهم المشاركين لقومه عليه الصلاة والسلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه﴾ الآية وقوله تعالى ﴿ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون﴾ كأنه قيل ألم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فيعذب هؤلاء أيضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لأوائلهم عاد الأولى ولأواخرهم عاد الآخرة قال عماد الدين بن كثير **كل ما ورد في القرآن** خبر عاد الأولى إلا ما في سورة الأحقاف وقوله تعالى." (١)

٣١. "الحق فكأنه قيل قل يا محمد لعبادي الذين أقروا بكونهم عبادا لي يقولوا التي هي أحسن وهي الكلمة الحقة الدالة على التوحيد وإثبات القدرة على البعث وعرفهم أنه لا ينبغي لهم أن يصروا على المذهب الباطل تعصبا للأسلاف فإن ذلك من الشيطان وهو للإنسان عدو مبين فلا ينبغي أن يلتفت إلى قوله، والمراد من الأمر بالقول الأمر باعتقاد ذلك وذكر القول لما أنه دليل الاعتقاد ظاهرا ثم قال لهم سبحانه: ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم بالهداية أو إن يشأ يعذبكم بالإماتة على الكفر إلا أن تلك المشيئة غائبة عنكم فاجتهدوا أنتم في طلب الدين الحق ولا تصروا على الباطل لئلا تصيروا

محرومين عن السعادات الأبدية والخيرات السرمدية، ثم قال سبحانه: وما أرسلناك عليهم وكيلا أي لا تشدد الأمر عليهم ولا تغلظ لهم بالقول، والمقصود من كل ذلك إظهار اللين والرفق لهم عند الدعوة لأنه أقرب لحصول المقصود، ثم إنه تعالى عمم علمه بقوله: وربك أعلم إلخ ويحسن على هذا ما روي عن ابن عباس وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن سيرين من تفسير التي هي أحسن بلا إله إلا الله ونقل ذلك ابن عطية عن فرقة من العلماء ثم قال: ويلزم عليه أن يراد بعبادي جميع الخلق لأن جميعهم مدعو إلى قول لا إله إلا الله ويجيء قوله سبحانه: إن الشيطان ينزغ بينهم غير مناسب إلا على معنى ينزغ خلالهم وأثناءهم ويفسر

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٩/١٥٤

النزغ بالوسوسة والإملال ولا يخفى أنه في حيز المنع، وما ذكر من الدليل لا يتم إلا إذا لم يكن للتخصيص نكتة، وهي هاهنا ظاهرة ويكون قوله تعالى: قل ادعوا الذين زعمتم من دونه إلخ كالاستدلال على حقية ما دعاهم إليه من التوحيد وربطه بما تقدم على ما ذكرناه أولا لا أظنه يخفى، والزعم بتثليث الزاي قريب من الظن ويقال إنه القول المشكوك فيه ويستعمل بمعنى الكذب حتى قال ابن عباس: **كل ما ورد في القرآن** زعم فهو كذب وقد يطلق على القول المحقق والصدق الذي لا شك فيه.

فقد أخرج مسلم من حديث أنس أن رجلا من أهل البادية- واسمه ضمام بن ثعلبة- جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله تعالى أرسلك قال صدق الحديث

فإن تصديق النبي عليه الصلاة والسلام إياه مع قوله زعم وتزعم دليل على ما قلنا.

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: زعم جبريل عليه السلام كذا، وقد أكثر سيبويه وهو إمام العربية في كتابه من قوله:

زعم الخليل زعم أبو الخطاب يريد بذلك القول المحقق وقد نقل ذلك جماعات من أهل اللغة وغيرهم ونقله أبو عمر الزاهد في شرح الفصيح عن شيخه أبي العباس ثعلب عن العلماء باللغة من الكوفيين والبصريين، وهو مما يتعدى إلى مفعولين وقد حذفا هاهنا أو ما يسد مسدهما جائز والخلاف في حذف أحدهما، والظاهر أن المراد من الموصول كل من عبد من دون الله سبحانه من العقلاء.

وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبخاري والنسائي والطبراني وجماعة عن ابن مسعود قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن فأسلم النفر من الجن وتمسك الإنسيون بعبادتهم فنزلت هذه الآية، وكان هؤلاء الإنس من العرب كما صرح به في رواية البيهقي وغيره عنه، وفي أخرى التصريح بأنهم من خزاعة، وفي رواية ابن جرير أنه قال:

كان قبائل من العرب يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن ويقولون هم بنات الله سبحانه فنزلت الآية. وعن ابن عباس أنها نزلت في الذين أشركوا بالله تعالى فعبدوا عيسى وأمه «عزيرا والشمس والقمر والكواكب وعلى هذا ففي الآية على ما في البحر تغليب العاقل على غيره، ومتى صح أدراج الشمس والقمر والكواكب على سبيل التغليب بناء على أنها ليست من

ذوي العلم فليدرج سائر ما عبد الباطل من الأصنام ويرتكب التغليب، وتعقب بأن ما سيأتي قريبا إن شاء الله تعالى من ابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة والخوف من العذاب يؤيد إرادة العقلاء كعيسى وعزير عليهما السلام." (١)

٣٢. "على الشيء جاء بمعنى الارتفاع والعلو عليه وبمعنى الاستقرار كما في قوله تعالى واستوت على الجودي [هود:

٤٤] ولتستووا على ظهوره [الزخرف: ١٣] وحيث كان ظاهر ذلك مستحيلا عليه تعالى قيل: الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء كما في قوله:

قد استوى بشر على العراق وتعقب بأن الاستيلاء معناه حصول الغلبة بعد العجز، وذلك محال في حقه تعالى، وأيضا إنما يقال: استولى فلان على كذا إذا كان له منازع ينازعه وهو في حقه تعالى محال أيضا، وأيضا إنما يقال ذلك إذا كان المستولى عليه موجودا قبل والعرش إنما حدث بتخليقه تعالى وتكوينه سبحانه، وأيضا الاستيلاء واحد بالنسبة إلى كل المخلوقات فلا يبقى لتخصيص العرش بالذكر فائدة.

وأجاب الإمام الرازي بأنه إذا فسر الاستيلاء بالاقتدار زالت هذه المطاعن بالكلية، ولا يخفى حال هذا الجواب على المنصف، وقال الزمخشري: لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك لا يحصل إلا مع الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا: استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على العرش البتة وإنما عبروا عن حصول الملك بذلك لأنه أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر ونحوه قولك: يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت حتى أن من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم: جواد ومنه قوله تعالى وقالت اليهود يد الله [المائدة: ٦٤] الآية عنوا الوصف بالبخل ورد عليهم بأنه جل جلاله جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط انتهى، وتعقبه الإمام قائلا: إنا لو فتحنا هذا الباب لانفتحت تأويلات الباطنية فإنهم يقولون أيضا: المراد من قوله تعالى فاخلع نعليك [طه: ١٢] الاستغراق في خدمة الله تعالى من غير تصور نعل، وقوله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني، الألوسي، شهاب الدين ٩٣/٨

[الأنبياء: ٦٩] المراد منه تخليص إبراهيم عليه السلام عن يد ذلك الظالم من غير أن يكون هناك نار وخطاب البتة. وكذا القول في **كل ما ورد** في كتاب الله تعالى بل القانون أنه يجب حمل كل لفظ ورد **في القرآن** على حقيقته إلا إذا قامت دلالة عقلية قطعية توجب الانصراف عنه، وليت من لم يعرف شيئا لم يخض فيه انتهى، ولا يخفى عليك أنه لا يلزم من فتح الباب في هذه الآية انفتاح تأويلات الباطنية فيما ذكر من الآيات إذ لا داعي لها هناك والداعي للتأويل بما ذكره الزمخشري قوي عنده، ولعله الفرار من لزوم المحال مع رعاية جزالة المعنى فإن ما اختاره أجزل من معنى الاستيلاء سواء كان معنى حقيقيا للاستواء كما هو ظاهر كلام الصحاح والقاموس وغيرهما أو مجازيا كما هو ظاهر جعلهم الحمل عليه تأويلا، واستدل الإمام على بطلان إرادة المعنى الظاهر بوجوه. الأول أنه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولما خلق الخلق لم يحتج إلى ما كان غنيا عنه. الثاني أن المستقر على العرش لا بد وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الجزء الحاصل منه في يساره فيكون سبحانه وتعلى في نفسه مؤلفا وهو محال في حقه تعالى للزوم الحدوث. الثالث أن المستقر على العرش إما أن يكون متمكنا من الانتقال والحركة ويلزم حينئذ أن يكون سبحانه وتعالى محل الحركة والسكون وهو قول بالحدوث أو لا يكون متمكنا من ذلك فيكون جل وعلا كالزمن بل أسوأ حالا منه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. الرابع أنه إن قيل بتخصيصه سبحانه وتعالى بهذا المان وهو العرش احتيج إلى مخصص وهو افتقار ينزه الله تعالى عنه، وإن قيل بأنه عز وجل يحصل بكل مكان لزم ما لا يقوله عاقل. الخامس أن قوله تعالى ليس كمثله شيء [الشورى: ١١] عام في نفي المماثلة فلو كان جالسا لحصل من يماثله في الجلوس فحينئذ تبطل الآية.

السادس أنه تعالى لو كان مستقرا على العرش لكان محمولا للملائكة لقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ." (١)

٣٣. "العبد ويندم ويتب يتب الرب عليه، وبأنه هو الرحيم بعباده مهما يسيء أحدهم بما هو سبب لغضبه - تعالى - ويرجع إليه فإنه يحفه برحمته. **وكل ما ورد** في هبوط آدم وحواء من تعيين الأمكنة فهو من الإسرائيليات الباطلة.

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني، الألوسي، شهاب الدين ٤٧١/٨

وبقي مما يتعلق بهذا التفسير مسألتان قد أكثر الناس الكلام فيهما وهما: مسألة خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم، ومسألة عصمة آدم.

فأما الأولى فليس في القرآن نص فيها ولا يلزمنا حمل قوله – تعالى –: (وخلق منها زوجها) على ذلك لأجل مطابقة سفر التكوين، فإن القصة لم ترد في القرآن كما وردت في التوراة التي في أيدي أهل الكتاب – حكاية تاريخية – وإنما جاء القرآن بموضع العبرة في خلق آدم واستعداد الكون لأن يتكمل به، وكونه قد أعطي استعدادا في العلم والعمل لا نهاية لهما ليظهر حكم الله ويقيم سننه في الأرض فيكون خليفة له، وكونه لا يسلم من داعية الشر والتأثر بالوسوسة التي تحمل على المعصية، ولكون التاريخ غير مقصود له لأن مسائله من حيث هي تاريخ ليست من مهمات الدين من حيث هو دين، وإنما ينظر الدين من التاريخ إلى وجه العبرة دون غيره، لم يبين الزمان والمكان كما بين في سفر التكوين، وكان بيانهما سببا لرفض الباحثين في الكون وتاريخ الخليقة لدين

النصرانية؛ لأن العلم المبني على الاختبار والمشاهدة أظهر خطأ ما جاء من التاريخ في التوراة، ووجدت للإنسان آثار في الأرض تدل على أنه أقدم مما حددته التوراة في تاريخ تكوينه، فقام فريق من أهل الكتاب يركب التعاسيف في التأويل، وفريق يكفر بالكتاب والتنزيل.

(أقول) فإن قلت: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال في حديث أبي هريرة في الصحيحين في تعليل التوصية بالنساء: ((فإن المرأة خلقت من ضلع)) قلنا: إنه على حد قوله – تعالى –: (خلق الإنسان من عجل) (٢١:٣٧) كما قالوا في شرحه – وسيأتي في تفسير القصة من سورة الأعراف – ولم يتعرض شيخنا في الدرس لقوله – تعالى –: (وخلق منها زوجها) ولكنه كتب بعد ذلك وقبل ما ستراه عنه في تفسير سورة النساء ما نصه:

(وأما قوله – تعالى – في سورة النساء: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) (٤: ١) وفي سورة الأعراف (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) (٧: ١٨٩) فقد قال غير واحد من المفسرين: إن المعنى من جنسها كما قال في سورة الروم: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) (٣٠: ٢١) فإن المعنى هناك على أنه خلق أزواجا من

جنسنا، ولا يصح أن يراد أنه خلق كل زوجة من بدن زوجها كما هو ظاهر) .

(قال) : وأما عصمة آدم فالجري على طريقة السلف يذهب بنا إلى أن العصيان." (١)

٣٤. "السبب الأقوى من دعوة العوام إلى المتشابه أولا! ! ! وهاك أيها القارئ ما قاله الأستاذ الإمام في بيان أجوبة العلماء وهي عنده ثلاثة:

(١) إن الله أنزل المتشابه ليمتحن قلوبنا في التصديق به، فإنه لو كان **كل ما ورد** في الكتاب معقولا واضحا لا شبهة فيه عند أحد من الأذكياء ولا من البلداء لما كان في الإيمان شيء من معنى الخضوع لأمر الله – تعالى – والتسليم لرسله.

(٢) جعل الله المتشابه **في القرآن** حافزا لعقل المؤمن إلى النظر كيلا يضعف فيموت فإن السهل الجلي جدا لا عمل للعقل فيه، والدين أعز شيء على الإنسان، فإذا لم يجد فيه مجالا للبحث يموت فيه، وإذا مات فيه لا يكون حيا بغيره، فالعقل شيء واحد إذا قوي في شيء قوي في كل شيء، وإذا ضعف ضعف في كل شيء ولذلك قال: والراسخون في العلم ولم يقل: والراسخون في الدين؛ لأن العلم أعم وأشمل، فمن رحمته – تعالى – أن جعل في الدين مجالا لبحث العقل بما أودع فيه من المتشابه، فهو يبحث أولا في تمييز المتشابه من غيره وذلك يستلزم البحث في الأدلة الكونية والبراهين العقلية وطرق الخطاب ووجوه الدلالة ليصل إلى فهمه ويهتدي إلى تأويله. وهذا الوجه لا يأتي إلا على قول من عطف والراسخون على لفظ الجلالة، وليكن كذلك.

(٣) إن الأنبياء بعثوا إلى جميع الأصناف من عامة الناس وخاصتهم سواء كانت بعثتهم لأقوامهم خاصة كالأنبياء السالفين – عليهم السلام – أو لجميع البشر كنبينا – صلى الله عليه وسلم –، فإذا كانت الدعوة إلى الدين موجهة إلى العالم والجاهل والذكي والبليد والمرأة والخادم، وكان من المعاني ما لا يمكن التعبير عنه بعبارة تكشف عن حقيقته وتشرح كنهه بحيث يفهمه كل مخاطب عاميا كان أو خاصيا، ألا يكون في ذلك من المعاني العالية والحكم الدقيقة ما يفهمه الخاصة ولو بطريق الكناية

والتعريض ويؤمر العامة بتفويض الأمر فيه إلى الله – تعالى –، والوقوف عند حد المحكم،

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٢٣٢/١

فيكون لكل نصيبه على قدر استعداده. مثال ذلك: إطلاق لفظ كلمة الله وروح من الله على عيسى، فالخاصة يفهمون من هذا ما لا يفهمه العامة ؛ ولذلك فتن النصارى بمثل هذا التعبير إذ لم يقفوا عند حد المحكم وهو التنزيه واستحالة أن يكون لله جنس أو أم أو ولد، والمحكم عندنا في هذا قوله – تعالى –: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم [٣: ٥٩] وسيأتي في هذه السورة. وأقول: وعندهم مثل قول المسيح في إنجيل يوحنا " [(١٧: ٣)] وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته ".

(قال) : ومن المتشابه ما يحتمل معاني متعددة وينطبق على حالات مختلفة لو أخذ منها أي معنى وحمل على أية حالة لصح، ويوجد هذا النوع في كلام جميع الأنبياء وهو على." (١)

٣٥. "للناس، وبأنه هدى ورحمة، وبأنه صدق وعدل، وبأنه صراط مستقيم ودين قيم.

وأثبت أن الرسول نفسه على بينة من ربه فيه، وأنه أول المسلمين له والمهتدين به. قال تعالى: (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) (٥) وقال: (وكذب به قومك وهو الحق) (٦٦) وقال: (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) (١١٤) وقال: (إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) (٥٧) والحق هو الأمر الثابت المتحقق بنفسه فلا يمكن نقضه ولا إبطاله – فبهذا الوصف ينبه العقلاء إلى أن يبحثوا عن حقيته بفكر مستقل وبالآيات الدالة عليه ليصلوا بأنفسهم إلى معرفة أنه الحق. وهي غاية لا بد أن يصل إليها الباحث المنصف البريء من الأهواء في نظره، ومن قيود التقليد في طلبه للحق. كما قال في آخر سورة فصلت (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (٤١: ٥٣) كذلك كان وهكذا يكون.

وقال: (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) (١٠٤) والبصائر جمع بصيرة وهي الإدراك العقلي كالبصر في إدراك الحس فتطلق على المعرفة اليقينية، وعلى الحجة العقلية والعلمية. وفي معناه وصف الوحي من آخر سورة الأعراف بقوله: (هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٧: ٢٠٣) ومثله في سورة الجاثية: (٤٥: ٢٠) وأمر رسوله في أواخر سورة يوسف بأن يقول: (قل هذه سبيلي

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ١٤١/٣

أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) (١٢: ١٠٨) ويؤيد هذا كل ما ورد في القرآن من الاعتماد على الآيات والبراهين ومخاطبة العقل. وكان أصحاب الأديان المحرفة والأديان المبتدعة قد بعدوا عن العقل والعلم، واعتمدوا في الدعوة وتلقين الدين على التسليم والتقليد الأعمى.

ووصف القرآن في آية ١٥٥ بأنه مبارك، أي جامع لأسباب الهداية الدائمة النامية، ثم قال في آية ١٥٧: (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) وقال: (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما) (١٦١) والصراط المستقيم أقرب الطرق الموصلة إلى السعادة التي شرع لها الدين من غير عائق ولا تأخير، والقيم ما يقوم ويثبت به الأمر المطلوب حتى لا يفوت صاحبه. وقال: (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) (١٩٥) أي صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام. فهذه أمهات الآيات في بيان صفة ما جاء به الرسول، وأنه أفضل وأكمل ما يحتاج إليه الخلق لتكميل أنفسهم وتزكيتها بالعلم والهدى، وليس هو من قبيل الدعوى بغير دليل، بل هو من قبيل التنبيه وعطف النظر إلى الشيء البديع الصنع البالغ منتهى الحسن والجمال الذي يدرك جماله وكماله بمجرد النظر إليه. لعمري إن من كان صحيح العقل مستقل الفكر لا يحتاج إلى دليل يثبت به كون هداية القرآن حقا وصدقا وعدلا وصراطا مستقيما وقد أثبتت الوقائع أن الذين آمنوا به بمجرد الدعوة لإدراك حقية موضوعها وخيريته كانوا." (١)

٣٦. "قال في المصباح كغيره: ويطلق البلد والبلدة على كل موضع من الأرض عامرا كان أو خلاء، وفي التنزيل (إلى بلد ميت ٣٥: ٩) أي إلى أرض ليس فيها نبات ولا مرعى فنخرج ذلك بالمطر فترعاه أنعامهم، فأطلق الموت على عدم النبات والمرعى، وأطلق الحياة على وجودهما اهـ. أقول: وغلب عرف الناس بعد ذلك في تخصيص البلد بالمكان الآهل بالسكان في المباني.

(فأنزلنا به الماء) أي فأنزلنا بالسحاب الماء، فالباء للآلة أو السببية – أو بالبلد فتكون الباء للظرفية، أي فيه، أو بالرياح والمختار هنا كون الباء للسببية، فإن الريح هي التي تثير السحاب

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٢٤٣/٨

من سطح البحر وغيره من المياه أو الأرض الرطبة وترفعه في الجو، وهي سبب تحول البخار إلى ماء بتبريدها له – فبذلك يصير البخار ماء أثقل من الهواء فيسقط من خلاله إلى الأرض بحسب سنة الله في جاذبية الثقل، كما قال تعالى في سورة الروم: (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) (٣٠: ٤٨) وفي سورة النور: (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله) (٢٤: ٤٣) الودق: المطر، أي يخرج من خلال السحاب وأثنائه **وكل ما ورد في القرآن** من إنزال الماء من السماء فمراد بالسماء فيه السحاب لأن هذا التفصيل صريح في ذلك، والسماء اسم لكل ما علا الإنسان ويفسر بالقرائن، ومن الخطإ أن يظن أن الماء ينزل من السماء المعنوية التي هي مسكن الملائكة على السحاب الذي هو كالغربال لها وإن قال به بعض المؤلفين؛ فإن القرآن يصرح بخلافه، وما صرح به القرآن، وهو الذي أثبته العلم والاختبار؛ فإن سكان الجبال الشامخة يبلغون في توقها السحاب الممطر ثم يتجاوزونه إلى ما فوقه فيكون دونهم، والعرب تسمي السحاب سماء تسمية حقيقية ثم أطلقت لفظ السماء على المطر نفسه، فكانت تقول: جاء مكان كذا في إثر سماء، وقال الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

وأما قوله تعالى في تتمة آية سورة النور التي ذكرنا أولها آنفا: (وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) (٢٤: ٤٣) فلا مانع من جعل السماء فيها عين السحاب ولعل الأظهر أن يراد بها جهة العلو التي يكون فيها السحاب كقوله: (فيبسطه في السماء كيف يشاء) (٣٠: ٤٨) وقوله: (من جبال) بدل مما قبله. والمراد بالجبال: قطع السحاب التي تشبه الجبال شبها تاما في عظمها وارتفاعها وشناخيبها وقللها، وقلما يوجد في الخلق تشابه كالتشابه بين السحاب." (١)

٣٧. ""والغرضة والغرض: حزام الرحل "ص٧٤ ج٢: الكامل"".

وعلى ذلك يؤول **كل ما ورد** في أوصافهم من أمثال تلك المعاني التي يستقصون بها أجزاء الصفة وأساليب التركيب، وهي عامة في الشعر الجاهلي والطبقة التي تليهم من الإسلاميين،

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٤١٦/٨

ومن أعجبها قول الراعي حين أراد أن يصف لون الذئب:

متوقع الأقران فيه شهبة ... هش اليدين تخاله مشكولا

كدخان مرتجل بأعلى تلعة ... غرثان ضرم عرفجا مبلولا

المرتجل: الذي أصاب رجلا من جراد فهو يشوبه، وجعله غرثان؛ لأنه على طول الغرث لا يختار الحطب اليابس على رطبه، فهو يشويه بما حضره. وأدار الراعي هذا الكلام ليكون لون الدخان بلون الذئب الأطحل متفقين "ص٢٤ ج٥: الحيوان".

ومن تفاوتهم في الأساليب قول الشماخ في صفة الحر:

كأن قتودي فوق جاب مطرد ... من الحقب لاحته الجداد الغوارز

"الأبيات ... ص٢٨ ج٥: الحيوان". قال الجاحظ: ولهذه الأبيات كان الحطيئة والفرزدق يقدمان الشماخ بغاية التقديم. وسجد الفرزدق مرة إذ سمع رجلا ينشد بيتا للبيد:

وجلا السيول عن الطلول كأنها ... زبر تجد متونها أقلامها

فقيل له: ما هذا؟ قال: موضع سجدة في الشعر أعرفه كما تعرفون مواضع السجود في القرآن! "ص٢٧٥: سرح العيون".

ولما كان الوصف عند العرب أشبه بالحقيقة كما مر، كان الشاعر منهم لا يتعاطى إلا ما يحسن من ذلك ضرورة، وقد يشارك في أوصاف كثيرة ولكنه ينفرد بالشهرة في بعضها، من جهة العلم لا من جهة الصناعة، فكلما كان أعلم بأجزاء الموصوف وحالاته، وأقدر على استقصاء هذا العلم في شعره، كان أبلغ في الوصوف وأولى بالتقديم فيه؛ وإن أحسن ما يكون الوصف الصادق إذا خرج عن علم، وصرفته روعة العجب، فإن العلم يعطي مادة الحقيقة، والعجب يكسبها صورة من المبالغة الشعرية، وكل وصف لا يكون عن هذين أو أحدهما فهو تزيد من الكذب، وتكثر بالباطل؛ لأن سبيله سبيل المصنوع المتكلف، ولا يسلم متعاطيه من الخطأ، كما ترى شعراء المولدين يصنعون في صفة الإبل ونحوها من خصائص الشعر الجاهلي. وقد أخطأ أبو نواس على جلالته في وصف الأسد حين تعاطاه، وسيأتي ذلك في موضع آخر.

وعلى جهتي الوصف الصادق اللتين ذكرناهما، يجري كل شعر العرب ومن بعدهم من طبقتي المخضرمين والإسلاميين، ولا يبقى موضع للعجب في تناولهم بالوصف كل أجزاء طبيعتهم،

حتى الحشرات، وحتى ما لا يستحسن مثله عادة من الوصف، كما فعل مخارق بن شهاب المازني، وهو على سيادته وكرمه، وعلى أنه من رؤساء العرب، تراه يصف تيس غنمه، ولولا روعة العجب لترك ذلك لأخلاق الرعاة ومن في طبقتهم "ص١٤٣ ج٥: الحيوان".." (١)

٣٨. "قوله عز وجل: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (٢٢) ﴾ .

يقول تعالى: يا أيها الناس وحدوا ربكم الذي خلقكم، وخلق الذين من قبلكم، لعلكم تتقون: لكي تنجوا من العذاب.

وقال بعض المفسرين: لعلكم تتقون: حال من الضمير في اعبدوا؛ كأنه قال: اعبدوا ربكم راجين أن تدخلوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح، المسترجين لجوار الله تعالى، ولعل في الأصل للترجي، وهي في كلام الله تعالى للتحقيق، وقيل: لعل هنا للأطماع كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ .

وقال ابن جرير: معنى ذلك: اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم؛ لتتقوه بطاعته، وتوحيده، وإفراده بالربوبية والعبادة. وقال ابن عباس: **كل ما ورد في القرآن** من العبادة فمعناها التوحيد.

وقوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (٢٢) ﴾ .." (٢)

٣٩. "النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- كان يرسل رسله إلى الأقاليم آحادًا، ولا يرسلهم جماعات.

ولا يلزم الأخذ بأحاديث الآحاد في تفسير الآيات التي تتعلق بالعقائد من ضرب الأمثال، وذكر أسرار الكون من خلق السموات والأرض، ومن سير الشمس والقمر، وتسخير الرياح والأنهار والبحار، وغير ذلك، فإنَّ ما يتلعق **وكل ما ورد** فيه من السنة أخبار آحاد، أو رواتها

(١) تاريخ آداب العرب، الرافعي ، مصطفى صادق ٨١/٣

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل المبارك ١٠٩/١

غير ثقات لا يعتبر حجة في تفسير القرآن وفهمه، بحيث يجب الأخذ به، ومخالفته تكون مخالفة للنبي –صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنه من الثابت أن ما يجيء في السنة مخالفًا للمقررات العلمية القاطعة، ويكون من أحاديث الآحاد يرد وتبطل نسبته إلى النبي –صلى الله تعالى عليه وسلم، فليس معنى ردّه تكذيب رسول الله –صلى الله تعالى عليه وسلم، إنَّما معنى رده أنه لم تصح نسبته إلى النبي وهو الصادق. ونقول مقالة الصديق خليفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– التي ردَّدها الشافعي، وهي قوله: "أيّ أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن ما لم أعلم".

وإنَّ دراسة الآيات الكونية للعقل والاستقراء والتتبُّع مقام في إداركها، ما لم تخالف نصًّا قرآنيًّا أو حديثًا نبويًّا متواترًا، وليس في الأحاديث المتواترة ما يعارض هذه الدراسة قط، والله أعلم.

وهنا أمر آخر يتعلق بالقصص القرآني، ونقول فيه: إنَّ القرآن يفسِّر بعضه بعضًا في هذا القصص، وما يجيء من السنة من زيادة على القرآن في هذا يقبل منه ما لا يناهض القرآن، وما يزيد يقبل ما دام السند صحيحًا، وليس ثمَّة ما يردّه سندًا أو متنًا، ولا يجب الإيمان بالزيادة؛ بحيث يكفر من ينكرها ما دامت أحاديثها لم تصل إلى مرتبة التواتر، ولكن ما لم يكن مطعن فيها يؤخذ بها على أساس الاطمئنان إليها.

هذه هي السنة، وهي تعدُّ المرتبة الأولى في تفسير القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢٤٨– أمَّا المرتبة التي تلي مرتبة السنة فهي أقوال الصحابة في فهم معاني القرآن الكريم، فكلامهم في هذا له اعتبار في فهم الكتاب العزيز لما يأتي:

أ– إنَّ الصحابة هم الذين سمعوا القرآن الكريم ابتداءً، وهم الذين شاهدوا وعاينوا، وتلقَّوا التفسير عن النبي –صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان ما يبهم عليهم يسألون النبي –صلى الله تعالى عليه وسلم– عنه، ويروى عن ذي النورين عثمان –رضي الله تعالى عنه– أنَّ النبي –صلى الله تعالى عليه وسلم– كان كلما تلا عليهم طائفة من الآيات تولَّى تفسيرها لهم،

فكان تفسيرهم أقرب إلى السنة، بل يعده الكثيرون من السنة، ما دام لا يمكن أن يكون للرأي فيه مجال.." (١)

٤٠. "إذ هو عالم بالعواقب والمغاب وعن سيبويه «كل ما ورد في القرآن من لعل وعسى فهو من الله واجب» وهذا صريح في أن الترجي يستحيل بقاؤه على معناه في حق الله تعالى.

٢- ان لعل تفيد التعليل فهي بمثابة كي وهذا قول الفراء قال:

كما تقول: اعمل لعلك تأخذ أجرك أي كي تأخذ أجرك.

٣- انها استفهامية أي هل يتذكر ويخشى وهذا قول مردود لأنه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى.

ما يقوله النحاة:

ويقول النحاة إن لعل للتوقع وعبر عنه قوم بالترجي في الشيء المحبوب نحو لعل الحبيب قادم ومنه قوله تعالى: «لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا» والإشفاق في الشيء المكروه نحو «فلعلك باخع نفسك» أي قاتل نفسك والمعنى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك وقد تقدم بحثه والإشفاق لغة الخوف يقال أشفقت عليه بمعنى خفت عليه وأشفقت منه بمعنى خفت منه وحذرته.

وقال الأخفش والكسائي: وتأتي لعل للتعليل نحو: ما يقول الرجل لصاحبه: افرغ من عملك لعلنا نتغدى واعمل عملك لعلك تأخذ أجرك أي لنتغدى ولتأخذ، ومنه «لعله يتذكر» أي ليتذكر وقال في المغني: ومن لم يثبت ذلك يحمله على الرجاء ويصرفه للمخاطبين أي اذهبا على رجائكما.." (٢)

٤١. "التنديد بالمنافقين لأنهم يفعلون عكس ذلك كما جاء في آية سورة التوبة هذه: المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون (٦٧) ومنها بصيغة التحذير من اتباع خطوات الشيطان الذي يأمر بالمنكر كما جاء في آية سورة النور هذه: يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ص/٣٩٩

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ١٩٨/٦

خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر [٢١] .

ويبدو من هذه الآيات عناية حكمة التنزيل بهذا الأمر وكونه:

أولا: من المبادئ القرآنية المحكمة المفروضة على المسلمين في كل ظرف ومكان.

ثانيا: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الصفات والخصائص التي يجب أن تتحقق بالمسلمين الصادقين أو تكون مظهرا من مظاهر سلوكهم الناتج عن صدق إسلامهم وإيمانهم وفي هذا ما فيه من روعة وجلال.

ولقد روى الترمذي عن أبي هريرة حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيه: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» «١» . مما فيه توكيد لهذا الواجب المفروض على المسلمين بأسلوب آخر وإنذارهم إذا قصروا فيه.

واستنادا إلى القرآن والسنة يجمع العلماء على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على المسلمين بمختلف الفئات التي يتألفون منها رجالا ونساء وهيئات وحكومات. وإذا لم يقم به من له القدرة والاستطاعة والمجال أثم جميعهم لتقصيرهم في واجب من أهم واجبات الشريعة الإسلامية.

والكلمتان عامتا المدى. ويمكن أن يقال إن المعروف هو **كل ما ورد في القرآن** والسنة النبوية من صفات وأخلاق وأفعال حسنة يجب التزامها والتحلي بها

---

(١) التاج ج ٥ ص ٢٠٥.." (١)

٤٢. "وعملها. وكل ما تعارف المجتمع الإسلامي على أنه حق وخير وعدل وبر وصالح ونافع وطيب وكرامة. والمنكر هو **كل ما ورد في القرآن** والسنة النبوية من صفات وأخلاق وأفعال سيئة يجب اجتنابها وكل ما تعارف المجتمع الإسلامي على أنه شر وظلم وباطل وفاسد وضار وخبيث ومهانة بحيث يقال بناء على ذلك إن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل المبادئ القرآنية الاجتماعية التي من شأنها إصلاح المجتمع وإسعاد الإنسانية وبث

---

(١) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة ٢/٤٧١

روح الحق والعدل والخير والبر فيه وتقويم ما يكون فيه شذوذ وانحراف واعوجاج وفساد وظلم. وإن عموم الكلمتين ينطوي على حكمة عظيمة الشأن وهو مسايرة هذا المبدأ لجميع الظروف واحتمالات التبدل والتطور فيما يكون خيرا وعدلا وصالحا وشرا وظلما وفسادا وباطلا في كل ظرف ومكان فيما لا يكون فيه نص صريح من قرآن وسنة أو إجماع وتواتر بين المسلمين منذ الصدر الإسلامي الأول. وهذا من مرشحات تعاليم القرآن للخلود.

ويتبادر لنا من روح الآيات والحديث النبوي أن هذا الواجب مترتب على المسلمين جميعهم على اختلاف مراكزهم في المجتمع، مع ملاحظة هامة في صدد ذلك وهي أنه بالنسبة للأمور العامة التي لها صلة بحياة المجتمع والجماعات والتي لا يكفل النجاح فيها إلا بتضامن الجماعات والتي تحتاج إلى حسن تقدير لما يجب وما لا يجب وما يجوز وما لا يجوز ثم إلى ما يحتاج إلى حسن الاضطلاع بالواجب والمضي فيه يترتب واجب الأمور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها على الجماعات والمنظمات الاجتماعية. وبالنسبة للأمور التي لا بد لها من الهيمنة والتنفيذ والقوة للحيلولة دون الشغب والفوضى والعيث في الأرض فسادا أو حمل الناس على العمل النافع الذي فيه مصلحة عامة وردعهم عن العمل الضار يترتب هذا الواجب على من بيده السلطان. أما بالنسبة للأمور الأخلاقية والخاصة الواضحة التي لا يخفى وجه الصواب والحق والعرف الصالح والنفع والخير والخطأ والباطل والضرر والشر فيها ولا ينجم عن القيام بالواجب نحوها من قبل الأفراد فوضى ولا مفسدة عامة فهي مجال الأفراد أيضا بالإضافة إلى الجماعات والسلطان. فكثير من الأفراد يهملون الالتزام بالآداب العامة والأخلاق والأفعال." (١)

٤٣. "قرآنا عربيا غير ذي عوج سورة الزمر: [٢٨] ولا بد من أن يكون كل ما ورد فيه عربيا مبينا سائغا بالأسلوب العربي الفصيح. ونقول بالنسبة للنقاط الأخرى إنها لا طائل من التعلق بها والحوار في صددها فهي من قصة شاءت حكمة التنزيل أن ترد في القرآن بالصيغة التي وردت بها وينبغي أن تبقى في نطاقها وأن يوقف منها عند ما وقف عنده القرآن والحديث النبوي الصحيح مع استلهام ما فيها من موعظة وعبر والله تعالى أعلم.

---

(١) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة ٤٧٢/٢

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٨٣ الى ١٠١]
ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا (٨٣) إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا (٨٤) فأتبع سببا (٨٥) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا (٨٦) قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا (٨٧)
وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا (٨٨) ثم أتبع سببا (٨٩) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا (٩٠) كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (٩١) ثم أتبع سببا (٩٢)
حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (٩٣) قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا (٩٤) قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥) آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا (٩٦) فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (٩٧)
قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا (٩٨) وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا (٩٩) وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا (١٠٠) الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا (١٠١)
. (١) وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا: كلمة السبب الأولى بمعنى الوسيلة الموصلة إلى المقصد أو العلم. والثانية بمعنى الطريق أو السير نحو القصد.." (١)

٤٤. "ومما لا ريب فيه أن هذه الجريمة داخلة في جملة الكبائر المنهي عنها التي نبهت الآية الثالثة من الآيات على وجوب تجنبها ووعدت من يتجنبها بالمدخل الكريم.
وبعض المفسرين أولوا المدخل الكريم بالجنة. ومع وجاهة هذا التأويل فإن إطلاق الجملة القرآنية يسوغ القول باحتمال أن يكون ذلك في الحياة أيضا. ولقد وعد المتقون بالحياة

---

(١) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة ٩٠/٥

الحسنة في الدنيا بالإضافة إلى ما هو أحسن في الآخرة كما جاء في آية سورة النحل هذه وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين (٣٠) «١» .

ولا شك في أن اجتناب الكبائر يضمن للمسلم حياة كريمة مطمئنة في الدنيا بالإضافة إلى ما يضمنه من نعيم ورضوان في الآخرة.

ومع أن المتبادر أن جملة إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه راجعة إلى ما ذكرته الآية الأولى من الآيات لأنها متصلة بها مباشرة فإن الطبري روى عن عبد الله بن مسعود وغيره أن ذلك يشمل **كل ما ورد** من المنهيات في جميع الآيات من أول السورة. ومع ذلك فإن جمهور المفسرين أخذوها على إطلاقها أيضا واعتبروها شاملة على الحث على اجتناب كل ما نهى الله ورسوله عنه من كبائر.

وليس في هذا بعد عن مفهوم الجملة ظاهر فيما نرى.

ولقد أورد المفسرون أحاديث نبوية عديدة فيها بيان كبائر الذنوب وموبقاتها.

ولقد أوردنا طائفة من هذه الأحاديث في سياق تفسير الآية [٣١] من سورة النجم فنكتفي بهذا التنبيه. مع تكرار القول إن ما جاء في الأحاديث ليس على سبيل الحصر وإن **في القرآن** كبائر لم تذكر بأعيانها بهذا الوصف في الأحاديث مثل الكذب والميسر والظلم والنفاق والفساد في الأرض إلخ.

ولقد أولنا كلمة سيئاتكم في الجملة التي جاءت بعد الجملة السابق

(١) هناك آيات أخرى من هذا الباب مثل آيتي النحل [٤١ و ٩٧] والنور [٥٤] مثلا.."

(١)

٤٥. "«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما. وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» «١» . ومنها حديث عن أبي هريرة رواه الإمام أحمد قال: «قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك. وحصباؤها

(١) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة ٨/٩٩

اللؤلؤ والياقوت. وترابها الزعفران. من يدخلها ينعم لا ييأس. ويخلد لا يموت ولا تبلى ثيابه. ولا يفنى شبابه» «٢» .

وليست هذه الأحاديث كل ما ورد في هذا الباب فهناك أحاديث كثيرة من بابها أوردها المفسرون أو وردت في كتب الحديث فاكتفينا بما أوردناه. ونكرر هنا ما قلناه في مناسبات سابقة مماثلة من أن الإيمان بما جاء في القرآن وثبت عن رسول الله من المشاهد الأخروية ونعيمها واجب. وأنه في نطاق قدرة الله وأنه لا بد من حكمة من ذكره بالأسلوب الذي ورد به. وفحوى الآيات والأحاديث يلهم أن من تلك الحكمة التبشير والتطمين، والترغيب والحث على صالح الأعمال ابتغاء رضا الله ورضوانه.

[سورة التوبة (٩) : آية ٧٣]

يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٧٣)

. عبارة الآية واضحة. ولم يرو المفسرون رواية خاصة في صددها. والمتبادر أنها بمثابة وصل بين أجزاء وموضوع السلسلة بعد الآيتين السابقتين اللتين جاءتا للاستطراد والمقابلة.

والمتبادر كذلك أن هدف الآية المباشر هو تلقين الموقف الذي يجب أن يقفه النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين بعد سرد مواقفهم ومكائدهم وأخلاقهم ولا سيما أن

---

(١) من ابن كثير وقد ورد نصه في التاج ج ٥ ص ٣٨٣.

(٢) من ابن كثير، وهناك أحاديث عديدة أخرى فاكتفينا بما أوردناه. انظر تفسير الطبري وانظر التاج ج ٥ ص ٣٦٤ وما بعدها.." (١)

٤٦. "فالتوراة والإنجيل اللذان أوحى بهما الله لموسى وعيسى عليه السلام واللذان كانا موجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مفقودان على ما شرحناه في التعليق على التوراة والإنجيل في سياق تفسير الآية [١٥٨] من سورة الأعراف. وأسفار العهد القديم التي يمكن أن يكون فيها شيء مما بلغه الله عز وجل لموسى عليه السلام أو بلغه موسى لبني إسرائيل قد دونت بعد موسى بمدة طويلة. وفيها متناقضات كثيرة تدل على طروء تحريف عليها فضلا

---

(١) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة ٤٩٦/٩

عن أنه ليس هناك أي دليل على أن فيها جميع ما بلغه الله عز وجل لموسى أو بلغه موسى لبني إسرائيل. والأناجيل المتداولة هي ترجمة حياة عيسى عليه السلام وليس هناك أي دليل على أن فيها جميع ما بلغه الله عز وجل لعيسى وبلغه عيسى لبني إسرائيل وغيرهم. ولقد جعل الله القرآن مهيمنا على الكتب السابقة المنسوبة إلى الله عز وجل. ومقتضى هذا من وجهة العقيدة الإسلامية أن **كل ما ورد في القرآن** مما لم يرد في الأسفار المتداولة اليوم من المبادئ والأسس هو الحق على ما شرحناه في سياق تفسير الآية [٤٨] من سورة المائدة.

ولقد أورد ابن كثير في سياق الآية حديثا روى الشيخان صيغة مقاربة لأوله مع زيادة مهمة فرأينا أن نورد صيغة الشيخين لما في الزيادة من روعة وتلقين وهذه هي «تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم. لونه لون دم وريحه ريح مسك.

والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا. ولكني لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أحيا ثم أغزو فأقتل ثم أحيا ثم أغزو فأقتل ... » «١» .

---

(١) التاج ج ٤ ص ٢٩١- ٢٩٢.." (١)

٤٧. "أورد المفسرون في سبب نزول هاتين الآيتين روايات منها:

قال ابن كثير: قال العوفى عن ابن عباس في قوله: قل ادعوا الذين زعمتم من دونه....

قال: كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا.

وروى البخاري وغيره عن ابن مسعود في قوله: أولئك الذين يدعون قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء- أى الإنس- بدينهم..

---

(١) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة ٥٤١/٩

فنزلت هذه الآية «١» .

وقال القرطبي: لما ابتليت قريش بالقحط، وشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنزل الله هذه الآية: قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ... «٢» .

والمراد بالزعم هنا: الظن الكاذب الذي لا أساس له من الحقيقة والواقع.

قال الآلوسى ما ملخصه: والزعم قريب من الظن، ويقال إنه القول المشكوك فيه، ويستعمل بمعنى الكذب، حتى قال ابن عباس: **كل ما ورد في القرآن** زعم فهو كذب.

وقد يطلق على القول المحقق، والصدق الذي لا شك فيه ... فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «زعم جبريل كذا ... » .

وهو مما يتعدى إلى مفعولين، وقد حذفا هنا، أى: زعمتموهم آلهة.. والظاهر أن المراد من الموصول- الذين- كل من عبد من دون الله من العقلاء» «٣» .

والمعنى: قل- أيها الرسول الكريم- لهؤلاء الكافرين الذين أشركوا مع الله- تعالى- آلهة أخرى في العبادة. قل لهم على سبيل الإرشاد والتحدي: هذه الآلهة التي تعبدونها، اطلبوا منها أن تدفع عنكم ما نزل بكم من ضر كمرض أو فقر أو قحط أو أن تحوله منكم إلى غيركم ... فإذا لم تستطع ذلك- وهي بكل تأكيد لا تستطيع ولن تستطيع- فاتركوا عبادتها، وأخلصوا العبادة والطاعة لمن هو على كل شيء قدير، وهو الله- عز وجل-.

واكتفى- سبحانه- بذكر كشف الضر، لأنه هو الذي تتطلع إليه النفوس عند نزول

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٦.

(٢) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٧٩. [.....]

(٣) تفسير الآلوسى ج ١٥ ص ٩٧.." (١)

٤٨. "شرح الكلمات:

الحاقة١: أي الساعة الواجبة الوقوع وهي القيامة.

بالقارعة: أم بالقيامة لأنها تقرع القلوب بالخوف والهول.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي، محمد سيد طنطاوي ٨/٣٧٦

فأهلكوا بالطاغية: أي بطغيانهم وعتوهم عن أمر ربهم فأخذتهم صيحة طاغية أيضا.
بريح صرصر عاتية: أي ذات صوت لشدة عصوفها عاتية على خزانها في الهبوب.
حسوما: أي متتابعات الهبوب فلا فاصل كتتابع الكي القاطع للداء.
كأنهم أعجاز نخل خاوية: أي أصول نخل ساقطة فارغة ليس في جوفها شيء.
والمؤتفكات بالخاطئة: أي أهلها وهي قرى لوط بالفعلات ذات الخطأ.
أخذة رابية: أي زائدة في الشدة على غيرها.
لما طغا الماء: أي علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها.
حملناكم في الجارية: أي السفينة التي صنعها نوح ونجا بها هو ومن معه من المؤمنين.
وتعيها أذن واعية: أي وتحفظها أذن واعية أي حافظة لما تسمع.
معنى الآيات:
قوله تعالى ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ ٢ أي أي شيء هي٣؟ وما أدراك٤ ما الحاقة أي أي شيء أعلمك بها، والمراد بها القيامة لأنها حاقة المجيء لا محالة. وقوله تعالى ﴿كذبت ثمود وعاده بالقارعة﴾ أي كذبت ثمود قوم صالح وعاد قوم هود بالقارعة أي بالقيامة. فهم ككفار قريش مكذبون بالبعث والجزاء. فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية أي بطغيانهم وعتوهم عن أمر ربهم

---

١ هي أسم للسورة روى أحمد أن عمر رضي الله عنه قال خرجت يوما بمكة أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد الحرام فوقفت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن فقلت هذا والله شاعر (أي في خاطري) فقرأ ﴿وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون﴾ قلت: في خاطري كاهن، فقرأ ﴿ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين﴾ إلى آخر السورة فوقع في قلبي كل موقع. وسماها بعضهم (السلسلة) وبعضهم (الداعية) .
٢ الحاقة أسم فاعل من حق الشيء فهو حاق إذا ثبت وقوعه، والظاهر أنها لموصوف محذوف أي الساعة الحاقة أو الواقعة الحاقة، وما في التفسير واضح وأولى.
٣ ما اسم استفهام مستعمل في التهويل والتعظيم والمعنى الحاقة أمر عظيم لا يدرك كنهه والحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان والحاقة خبر المبتدأ الثاني والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر

المبتدأ الأول وجملة وما أدراك ما الحاقة معترضة بين جملة الحاقة وكذبت ثمود.

٤ روي عن ابن عباس وسفيان بن عيينة. كل ما ورد في القرآن بلفظ وما أدراك بصيغة الماضي فقد أدراه أي أعلمه به، وكل ما ورد بصيغة المضارع وما يدريك فقد طوي عنه ولم يعلمه به فالأول (وما أدراك ماهية نار حامية) (وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) والثاني (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) ....

٥ كذبت ثمود كلام مستأنف بين فيه من كذبوا بالحاقة وهي الفارقة وسميت بالقارعة من قولهم (قوارع الدهر) أي أهواله وشدائده فهي تقرع القلوب.." (١)

٤٩. "سبب نزولها وفي ارتباطها بما قبلها بأنواع المناسبات وفي إعرابها ومعناها وما اشتملت عليه من أنواع البلاغة، وفيما يؤخذ منها من الأحكام وبلغت فتاواه أربعة مجلدات واسمها "الضوء والسراج" وله مجموعة في الفقه رحل إلي القاهرة في آخر عمره وتوفي بها سنة ١٣١٤هـ ومنهم الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي لقيته في سياحتي بالهند سنة ١٣١٣هـ وسمعت منه الأولية وقرأت عليه الكثير من الأوائل السنبلية للعلامة محمد بن سعيد سنبل وأجازني بها كما يروى عن الشريف محمد بن ناصر الحازمي اليماني الحسني عن شيخه محمد طاهر سنبل وكتب لي بخطه إجازة مطولة مخطوطة عندي وهي أجل غنم عندي.

عكف الشيخ أبو بكر خوقير على مؤلفات شيخ الإسلام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فشغلت ذهنه مسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام التي تبلورت في لا إله إلا الله والتي تميز الإسلام بها عما سواه فأدرك أن التوحيد أساس الاعتقاد بأن الله وحده هو خالق العالم المسيطر عليه والمشرع له وليس في الخلق من يشاركه في خلقه ولا في حكمه ولا من يعينه على تصريف أموره لأنه تعالي ليس في حاجة إلي عون أحد مهما كان من المقربين إليه هو الذي بيده الحكم وحده وهو الذي بيده النفع والضر وحده لا شريك له ليس في الوجود ذو سلطة حقيقية غير الله وليس في الوجود من يستحق العبادة والتعظيم غير الله.

شرع أبو بكر خوقير – رحمه الله _ يدعو إلي توحيد الربوبية الذي أقر به الكفار وأنه تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت مدبر الأمور ومنزل الغيث، وشرع يبين توحيد الألوهية وبيان

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٥/٤٢٠

عبادة الله التي شرعها كالدعاء والذبح والنذر والاستغاثة وبيان أن هذا هو التوحيد الذي جحده الكفار وشرع في بيان توحيد الصفات وأنه الإيمان بكل ما ورد في القرآن والأحاديث بما وصف الله به نفسه من صفات على حقيقتها دون التعرض لها بشيء من التكييف." (١)

٥٠. "في أصلاب آبائكم، ﴿فأحياكم﴾ [البقرة: ٢٨] في الأرحام والدنيا، ﴿ثم يميتكم﴾ [البقرة: ٢٨] عند انقضاء آجالكم، ﴿ثم يحييكم﴾ [البقرة: ٢٨] للبعث، ﴿ثم إليه ترجعون﴾ [البقرة: ٢٨] أي: تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ [البقرة: ٢٩] لكي تعتبروا وتستدلوا، وقيل: لكي تنتفعوا، ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ [البقرة: ٢٩] قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء ﴿فسواهن سبع سماوات﴾ [البقرة: ٢٩] خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدوع، ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [البقرة: ٢٩]

[٣٠] ﴿وإذ قال ربك﴾ [البقرة: ٣٠] أي: وقال ربك وإذ زائدة، وقيل: معناه واذكر إذ قال ربك، وكذلك كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله، إذ وإذا: حرفا توقيت إلا أن إذ للماضي وإذا للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر. ﴿للملائكة﴾ [البقرة: ٣٠] جمع ملك، وأراد به الملائكة الذين كانوا في الأرض ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] أي: بدلا منكم، والمراد بالخليفة ههنا آدم ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ [البقرة: ٣٠] بالمعاصي، ﴿ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠] بغير حق ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ [البقرة: ٣٠] قال الحسن: نقول: سبحان الله وبحمده هو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى الآدميين ﴿ونقدس لك﴾ [البقرة: ٣٠] أي: نثني عليك بالقدس والطهارة عما لا يليق بعظمتك وجلالك، وقيل: ونطهر أنفسنا لطاعتك، وقيل: وننزهك، واللام: صلة، وقيل: لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب الحكمة فيه، قال الله ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ٣٠] من المصلحة فيه، وقيل: إني أعلم أن في ذريته من يطيعني ويعبدني من الأنبياء والأولياء والصلحاء، وقيل: إني أعلم أن فيكم من يعصيني وهو إبليس، وقيل: إني أعلم أنهم يذنبون وأنا أغفر لهم.

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ص/٣٠١

[قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم] على الملائكة

[٣١] قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣١] سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: لأنه كان آدم اللون، فلما خلقه الله عز وجل علمه أسماء الأشياء، وذلك أن الملائكة قالوا لما قال الله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وإن كان غيرنا أكرم عليه فنحن أعلم منه لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم، قال ابن عباس: علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة، وقيل: اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة، وقيل: أسماء ذريته، وقيل: صنعة كل شيء ﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾ [البقرة: ٣١] إنما قال: ﴿عرضهم﴾ [البقرة: ٣١] ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل، كما يكنى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور، وقال مقاتل: خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة، فالكناية راجعة إلى الشخوص، فلذلك قال عرضهم ﴿فقال أنبئوني﴾ [البقرة: ٣١] أخبروني ﴿بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٣١] أني لا أخلق خلقا إلا وكنتم أفضل وأعلم منه.

فقالت الملائكة إقرارا بالعجز:

[٣٢] ﴿قالوا سبحانك﴾ [البقرة: ٣٢] تنزيها لك، ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ [البقرة: ٣٢] معناه: إنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا، ﴿إنك أنت العليم﴾ [البقرة: ٣٢] بخلقك ﴿الحكيم﴾ [البقرة: ٣٢] في أمرك، والحكيم له معنيان: أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل، والثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد، وأصل الحكمة في اللغة: المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل.

فلما ظهر عجزهم.

[٣٣] قال الله تعالى: ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ [البقرة: ٣٣] أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم

كل شيء وذكر الحكمة التي لأجلها خلق، ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال﴾ [البقرة: ٣٣]." (١)

٥١. "الذي وقع فيه النزاع من قديم الدهر وحديثه، وهو الذي جحده الكفار وكانت الخصومة فيه بين الرسل وأممهم من لدن نوح عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]

(ج) توحيد الأسماء والصفات: ويقوم على الإيمان بكل ما ورد في القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته ووصفه بها على الحقيقة وعدم التعرض لها بشيء من التكييف أو التشبيه أو التأويل أو التحريف أو التعطيل واعتقاد أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١) . وهذه هي عقيدة علماء الدعوة في الأسماء والصفات، وهو مذهب أهل السنة والجماعة من السلف الصالح، وكان اتباع علماء الدعوة لمذهب السلف في هذه الناحية إيمانا منهم بأنه المذهب الحق ، وابتعادا منهم عن الخصومة المذهبية، والتي كانت مثار الفرقة بين المذاهب الإسلامية المختلفة المتعادية.

لذلك ركز الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من علماء الدعوة دعوتهم على توحيدي (الربوبية والألوهية) (٢) وقد أخذ الحديث عن (توحيد الألوهية) القسم الأكبر من مؤلفاتهم ورسائلهم، ولا غرو فقد كان هذا القسم هو مثار الجدال بينهم وبين أعدائهم المخالفين لهم.

ويرى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن من عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما (٣) .

ونتيجة لاهتمام الشيخ بمسألة التوحيد منذ أن كان طالبا للعلم فقد ألف كتابا يبحث في هذا الصدد وسماه "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد "، جمع فيه آيات وأحاديث في بيان التوحيد والترغيب فيه، وبيان الشرك والتحذير منه، ونبه على

(١) سليمان بن سحمان: الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ص ٨٨ و ١٠٥.

(٢) حسين بن غنام: تاريخ نجد ص ٢٩٩، ومحمد بن عبد الوهاب: مجموعة التوحيد

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، عبد الله الزيد ٢٤/١

النجدية ص ١١٤.

(٣) محمد بن عبد الوهاب: كشف الشبهات ضمن مجموعة التوحيد النجدية ص ٨٥.."

(١)

٥٢. "يحمل إحدى نعليه بيده، والأخرى يلبسها في رجله وهو لا يدري، فظهر للناس كذبه. وافتضح على رؤوس الأشهاد أمره.

اللطيفة التاسعة: قوله تعالى: ﴿هو أقسط عند الله﴾ . أفعل التفضيل ليس (على بابه) لأن نسبتهم إلى غير آبائهم ظلم وعدوان، فلا يقصد إذن التفضيل وإنما يقصد به الزيادة مطلقا.

والمعنى: دعاؤهم لآبائهم بالغ في العدل والصدق نهايته. وهو القسط والعدل في حكم الله تعالى وقضائه. . وجوز بعضهم أن يكون (على بابه) جاريا على سبيل التهكم بهم. والمعنى: دعاؤهم لغير آبائهم إذا كان فيه خير وعدل فهذا أقسط وأعدل ويكون ذلك جاريا مجرى التهكم والله أعلم.

الأحكام الشرعية

الحكم الأول: هل تقع المعصية من الأنبياء؟

من المعلوم أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون عن ارتكاب الذنوب والمعاصي. فإن (العصمة) من صفاتهم. فلا يمكن أن تقع معصية من الأنبياء أو تحصل منهم مخالفة لأوامر الله عز وجل . لأنهم القدوة للخلق وقد أمرنا باتباعهم. فلو جاز عليهم الوقوع في المعصية لأصبحت طاعتهم غير واجبة أو أوصبحنا مأمورين باتباعهم في الخير والشر. لذلك عصمهم الله من الذنوب والآثام، **فكل ما ورد في القرآن** الكريم مما ظاهره يخالف (عصمة الأنبياء) فلا بد من فهمه على الوجه الصحيح حتى لا يتعارض مع الأصل العام. فقوله تعالى هنا ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ لا يفهم منه أنه صلى الله عليه وسلم مال إلى طاعتهم، أو أحب موافقتهم على ما هم عليه من نفاق وضلال. وإنما هو تحذير للأمة جاء في صورة خطاب للرسول عليه السلام ومما يدل عليه." (٢)

(١) دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، محمد السلمان ص/٤٢

(٢) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني ٢/٢٦٢

٥٣.   "باطل أو شر، فإنه لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن مفسدة وشر، كما قال الله تعالى عن نبيه في الكتب السابقة: يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر [الأعراف: ٧/ ١٥٧] .

وكل ما ورد في القرآن من أمر ونهي، ووعد ووعيد، وقصص وخبر، لا تغيير فيه، ولا تبديل لكلمات الله: وهي كل ما نزل على عباده، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم، الذي يجازي كل عامل بعمله.

وقوله تعالى: لا مبدل لكلماته معناه: لا تغيير في معاني الوحي المنزل، بأن يبين أحد أن خبره بخلاف ما أخبر به، أو يبين أن أمره لا ينفذ. ومن أمثلة ذلك: أن الله منع المنافقين من الخروج إلى الجهاد بعد تخلفهم عن غزوة تبوك، ولم يبح لهم الخروج «١» ، فقال المنافقون بعد ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين: ذرونا نتبعكم [الفتح:

٤٨/ ١٥] ، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل [الفتح: ٤٨/ ١٥] . واستقر التشريع على منعهم من الخروج كما قال تعالى: فقل لن تخرجوا معي أبدا [التوبة: ٩/ ٨٣] .

المنع من اتباع ضلالات المشركين ومن أكل ذبائحهم

لا تلاقي بحال من الأحوال بين شرع الله المحكم والأعدل وبين أنظمة الجاهليين المشركين، فإن الله تعالى أراد الحق والخير لعباده، وحذر من كل معالم الضلال والشرك، لذا أبان سبحانه الحلال والحرام، ومنع من أكل ذبائح المشركين التي لا يذكر اسم الله عليها، فإن تلك الذبائح فسق أي معصية وخروج عن دائرة

---

(١) التوبة: ٩/ ٨٣.." (١)

٥٤.   "قوله تعالى (فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) آل عمران: ٢٥.

قوله تعالى (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلي يوم القيامة لا ريب فيه) النساء: ٨٧.

قوله تعالى (كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) الأنعام: ١٢.

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي، وهبة الزحيلي ١/٥٩٨

قوله تعالى (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) غافر: ٣٤.

قوله تعالى (إذا لارتاب المبطلون) العنكبوت: ٤٨.

قوله تعالى (وارتابت قلوبهم) التوبة: ٤٥.

وكذا في سورة الإسراء ٩٩، والكهف ٢١، والحج ٥ و٧، والسجدة ٢، والشورى ٧، والجاثية ٢٦ و٣٢، والتوبة ١١٠. وسورة النور ٥٠، والمائدة ١٠٦، والحديد ١٤، والطلاق ٤، والبقرة ٢٨٢، والمدثر ٣١، والحجرات ١٥.

وكذلك قوله تعالى (يوم الدين) ورد في سورة الحجر ٣٥، والشعراء ٨٢، والصافات ٢٠، وص ٧٨، والذاريات ١٢، والواقعة ٥٦، والمعارج ٢٦، والانفطار ١٥ و١٧ و١٨، المطففين ١١. فقد تقدم معناه في سورة الفاتحة أنه يوم الحساب.

(٦) وفي بعض الأحيان يتكرر اللفظ لكن المعنى لا يكون متفقا وذلك حسب السياق كما في قوله (الصراط المستقيم) ، **فكل ما ورد في القرآن** الكريم من (الصراط المستقيم) هو الإسلام كما في سورة الفاتحة إلا في موضعين، في سورة الأعراف ٨٦، والصافات ٢٣.

(٧) بعض الكلمات تتكرر كثيرا فاختصارها كما يلي:

كتاب: ك.

باب: ب.

مخطوط: خ.

لوحة: ل.." (١)

٥٥. "ابن عبد الوهاب. (وأن المعطلة والممثلة كلاهما عطل ومثل فالمعطل لم يفهم الصفة إلا على مقتضى صفات المخلوقين فنفاها والممثل اثبت الصفات على مقتضى المخلوقين فعطل ما يستحقه تعالى من الصفات والأسماء اللائقة بجلاله ... وأن مذهب السلف بين التعطيل والتمثيل) (١) .

الاستواء:

ومن بين القضايا التي أثارها علم الكلام وتعددت فيه أقوال المشتغلين به تبرز مشكلة الاستواء

---

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير ياسين ٦٥/١

بما يرتبط به من معنى الجهة والحركة والمكان، وقد صحب هذه الضجة موقف أهل السنة الذين تمسكوا **بكل ما ورد** من النصوص واثبات جميع الصفات كما جاء **في القرآن** الكريم وعلى لسان نبيه الأمين، أثبتوها عن فقه وعند إدراك بأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، (٢) وأدركوا تماما أنهم ﴿لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ (٣) .

فقد ورد في الذكر الحكيم نصوص تذكر عرض الله واستواءه عليه كقوله عز شأنه:﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ (٤) ، وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (٥) ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْش﴾ (٦) .

وقال في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (٧) ، وقال في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (٨) ، وقال في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٩) وقال في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

---

(١) فتاوي ابن تيمية . الأسماء والصفات . ٢٧/٥.

(٢) الشورى: ١١

(٣) ط: ١١٠

(٤) طه: ٥

(٥) هود: ٨

(٦) الاعراف: ٥٤

(٧) يونس: ٣

(٨) الرعد: ٢

(٩) طه: ٥." (١)

٥٦. "لا يقتضي وقوعه، لذا

قال عليه الصلاة والسلام: «لا أشك ولا أسأل» .

---

(١) الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة، آمنة محمد نصير ص/١١٥

وتم كلام الله وهو القرآن، فلا يحتاج إلى إضافة شيء فيه، وأصبح كافيا وافيا بإعجازه وشموله، ودلالته على الصدق، فهو صادق فيما يقول، عدل فيما يحكم، صدقا في الإخبار عن الغيب، وعدلا في الطلب، فكل ما أخبر به فهو حق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل، فإنه لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن مفسدة وشر، كما قال تعالى: يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر [الأعراف ٧/ ١٥٧].

وكل ما ورد في القرآن من أمر ونهي، ووعد ووعيد، وقصص وخبر لا تغيير فيه ولا تبديل لكلمات الله، وليس أحد يعقب حكمه تعالى، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وهو السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم، الذي يجازي كل عامل بعمله.

فقه الحياة أو الأحكام:

الآية الأولى بت قاطع في مسألة التحكيم الذي طالب به المشركون بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم، وهي رد مفحم عليهم بأنه قد قام الدليل القاطع على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من ناحيتين:

الأولى- تأييده بالقرآن الكريم وهو المعجزة الدائمة الخالدة الدالة على النبوة.

الثانية- معرفة أهل الكتاب وبشارات أنبيائهم به وبصدقه وبصدق القرآن.

ودلت الآية الثانية: وتمت كلمة ربك على وجوب اتباع دلالات." (١)

٥٧. "ملاحظات على أعمال سابقة

على الرغم من أن عملنا لا يستمد قيمته من كشف عيوب الأعمال السابقة، لأن قيمته في ذاته، فقد وضعنا أيدينا - أثناء انشغالنا بجمع مادة معجمنا وتحريرها - وضعنا أيدينا على جملة من السلبيات التي تداركناها في عملنا، مما تطلب منا مراجعة دقيقة لأعمال السابقين، وعدم اقتباس ما ورد فيها من آراء وتفسيرات ما لم يكن له أصل فيما روي عن ثقات المفسرين، بل إننا لم نُسلم قيادنا لكل ما ورد في المصادر التراثية، فكنا ننخلها بدقة الباحث، ونزنها بميزان الخبير، وننحّي منها ما نشك في ثبوته، أو نقطع بعدم صحته.

(١) التفسير المنير للزحيلي، وهبة الزحيلي ٨/١٥

وربما كان من المفيد أن نعرض ملاحظاتنا في مجموعات على النحو التالي:

أ: ملاحظاتنا على أعمال الفهرسة لألفاظ القرآن الكريم:

تشمل هذه الملاحظات عملين اثنين يكمل ثانيهما الأول، وهما: "المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، و"معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم"، وعملا ثالثًا يفترض أنه يجمع بين العملين السابقين: وهو "قاموس الألفاظ القرآنية" لحسين محمد الشافعي.

إنّ أول ما يلفت النظر في العملين الأولين عدم الإحاطة والشمول لكل ما ورد في القرآن من ألفاظ تدخل تحت عنوان الكتاب. فقد ترك محمد فؤاد عبد الباقي عددًا من الألفاظ دون سبب مقنع، اللهم إلا أن يكون من باب السهو والنسيان، ومن ذلك:." (١)

٥٨. "كاذبة، لأنه يكون هاربا منها، وهي تلحق به لتعيده إليها، وتشد قميصه من الخلف فتقده!.

ولما رأى العزيز القميص قد من دبر، عرف أن امرأته هي التي راودت يوسف، فقال لها: هذا من كيدكن، إن كيدكن عظيم.

وبهذا نعرف خطأ الفادي عندما خطأ القرآن في كلامه عن هذا الشاهد، وعندما وضع عنوانا تهكميا، وهو: " اختراع طفل ينطق بالشهادة "! والاختراع يعني الادعاء والافتراء والكذب.

وبما أن القرآن أخبر عن الشاهد وشهادته فهو الصحيح، لأننا نثق ونؤمن بكل ما ورد في القرآن!.

وفي الوقت الذي خطأ فيه الفادي القرآن في كلامه عن الشاهد، فقد اعتمد كلام الكتاب المقدس، الذي زعم مؤلفوه الأحبار أنه لما راودت المرأة يوسف أمسكته من ثوبه، فترك ثوبه معها وهرب!..

ونحن ننكر ذلك ونرده، ولا نقول إلا بما قال به القرآن.

وينكر الفادي المفتري أن تكون المرأة قالت لزوجها ما ذكره القرآن عنها: (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم (٢٥) .

---

(١) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، أحمد مختار عمر ص/٨

وذلك في قوله: " وكيف يعلن فوطيفار براءة يوسف وذنب امرأته، ثم يبقيها هي ويوسف في البيت، ويرضى بهذا العار؟

وكيف بعد أن يحكم فوطيفار ببراءة يوسف، وبعد أن تصرح زوجته أنها راودته عن نفسه فاستعصم، تعود لتهدد يوسف بالسجن إن لم يفعل ما أمرته به من فحشاء، فيقبل فوطيفار أن يسجنه، لا لشره بل لعفته.. ".

واعتراض الفادي على هذا دليل جهله وغبائه، وهو اعتراض لا معنى له، فبما أن الله ذكر ذلك في القرآن فإننا نجزم بأنه حصل كما أخبر الله.." (١)

٥٩. "ولسنا مع البيضاوي في ما نقله عنهم، لأنه كلام لا دليل عليه، فقد ذكر خمسة أقوال في تعيينهم، وكلها أقوال ظنية، والتفاصيل التي ذكرها من باب الإسرائيليات التي لم تصح عندنا، فنتوقف فيها، لا نصدقها ولا نكذبها ولا نرويها.

وما نقله البيضاوي في تعيين أصحاب الرس لا يتحمله القرآن، فإن كان خطأ فيتحمل مسؤوليته الذين رووه وذكروه!!.

وتشكيك الفادي في وجود أصحاب الرس اتهام وتكذيب منه للقرآن، وتساؤله عن مكان وزمان أصحاب الرس من باب خبثه ولؤمه: " لماذا لم يوضح لنا القرآن ذلك إن كان للرس وجود؟! ".

إننا نؤمن أن للرس وجودا، وأنه كان قوم من الناس مقيمون حولها، نؤمن بذلك لأن القرآن ذكر ذلك، وكل ما ورد في القرآن فهو صادق وصحيح وثابت، لأنه كلام الله.

أما لماذا لم يوضح القرآن زمان أصحاب الرس أو مكانهم، ولم يفصل قصتهم مع نبيهم، فإن هذا يتفق مع منهج القرآن في حديثه عن قصص السابقين.

إن القرآن ليس كتاب تاريخ مفصل، وحديثه عن قصص السابقين

(١) القرآن ونقض مطاعن الرهبان، صلاح الخالدي ١/١٢٧

ليس رواية تاريخية فنية مفصلة، إنه لا يذكر من أخبار السابقين إلا ما فيه عبرة وعظة، وهو يعرض من أخبارهم ما يحقق أهدافه من الحديث عن قصص السابقين، وما يعرضه يتناسق مع السياق الذي ورد فيه.

وهذا معناه أن ما ورد في القرآن من أخبار السابقين هو لقطات ومشاهد ومواقف قليلة، وما لم يورده من تفاصيل أخبارهم أكثر مما أورده، وقد تعمد القرآن إبهام الكثير من تفاصيل حياتهم، عن تعمد وقصد، لأن الله الحكيم العليم يذكر للناس ما يحتاجون إليه ويستفيدون منه، وما طواه عنهم يعلم أنهم لا يحتاجون إليه!.

المهم أن ما ذكره القرآن من أخبار السابقين صادق صحيح ثابت،." (١)

٦٠. "وتسالونيكي والعبرانيين، ومن رسائل يعقوب وبطرس ورؤيا يوحنا اللاهوتي ".

إذا توافق القرآن في أي قصة أو خبر مع أسفار التوراة والأناجيل، فهو دليل على أن محمدا " – صلى الله عليه وسلم – أخذ ذلك من تلك الكتب، أي أنه رجع إليها وقرأ فيها وحفظها، ثم أخذ واقتبس وصاغ منها ما يشاء، وادعى أن الله أنزلها عليه!!.

لا أدري كيف يلبس هذا الفادي الجاهل ثوب البحث العلمي الموضوعي المنصف المحايد، ولا كيف يفهم الأمور، ولا كيف يقرأ في الأديان والرسالات!!.

إننا نؤمن أن الله أنزل التوراة على موسى – عليه السلام –، قبل أن يحرفها اليهود، كما نؤمن أن الله أنزل الإنجيل على عيسى – عليه السلام –، قبل أن يحرفه النصارى، وبما أن الكتب الثلاثة من عند الله فلا بد أن تكون متوافقة متساندة، ولا يجوز أن تكون متعارضة متناقضة. ويجب أن يكون الكتاب اللاحق المتأخر مصدقا للكتاب السابق، وإذا جاء مناقضا له، أو مخطئا أو مكذبا لما فيه، فأحد الكتابين ليس من عند الله!!.

وإن من المتفق مع التفكير العقلي المنطقي أن كلام الله صادق صحيح

---

(١) القرآن ونقض مطاعن الرهبان، صلاح الخالدي ١٦٦/١

صائب، وأنه لا يجوز لبعض كلام الله أن يخطئ أو يكذب أو ينقض أو يرد بعض كلام الله.

ولهذا نقول: يستحيل عقلا وشرعا أن يخطئ الإنجيل التوراة، أو أن يناقض القرآن ما في الإنجيل والتوراة!!

كل ما ورد في الإنجيل النازل على عيسى – عليه السلام – موافق ومصدق للتوراة النازلة على موسى – عليه السلام –.

وكل ما ورد **في القرآن** النازل على محمد – صلى الله عليه وسلم – موافق ومصدق لما ورد في التوراة النازلة على موسى، والإنجيل النازل على عيسى – عليه السلام –.

هذا أمر بدهي عقلي مقرر!!.." (١)

٦١. "المبحث الثامن المعاني المجازية في سورة «العنكبوت» »

قوله سبحانه: من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم (٥) .

وهذه استعارة لأن لقاء الله سبحانه على الحقيقة، لا يصح، وإنما المراد لقاء حسابه، ولقاء جزائه وثوابه، أو لقاء الوقت، الذي جعله سبحانه وقت توفية الجزاء، على أعمال العاملين، وتوفير الأعواض على المعوضين، وعلى ذلك قوله تعالى: الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون (٤٦) [البقرة] . **وكل ما ورد** **في القرآن** من ذكر لقاء الله تعالى، فالمراد به المعنى الذي ذكرناه والله أعلم ومن كلام العرب:

لقينا خيرا ولقينا شرا، وليس شيء من ذلك مما يرى بعين، ولا يواجه بوجه، وإنما المراد أصابنا هذا، وأصابنا هذا.

وقوله سبحانه: إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا [الآية ١٧] .

وهذه استعارة، والمراد أنكم خلقتم من الأصنام صورا، أي قدرتموها على اختياراتكم وأصل الخلق التقدير، ثم جعلتموها آلهة تعبدونها والإله المعبود، إنما هو الخالق لا المخلوق، والصانع لا المصنوع فكأنه سبحانه قال: إنكم جعلتم كذبا من الإله تعبدونه من دون الله، والإفك هاهنا هو الكذب، وقال بعضهم معنى تخلقون إفكا أي تصنعون الكذب، على مواقع

---

(١) القرآن ونقض مطاعن الرهبان، صلاح الخالدي ١/٦٠١

(١) . انتقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.." (١)

٦٢. " ركعتين وقرأ الآية وقيل استعينوا بهما على طلب الآخرة وقيل الصبر هنا الصوم وقيل الصلاة هنا الدعاء ! ٢ (٢) ٢ ! الضمير عائد على العبادة التي تضمنها الصبر والصلاة أو على الاستعانة أو على الصلاة ! ٢ (٣) ٢ ! أي شاقة صعبة (٤) ﴾ ٢ (٥) ٢ ! هنا يتيقنون (٦) ﴾ ٢ (٧) ٢ ! أي أهل زمانهم وقيل تفضيل من وجه ما هو كثرة الأنبياء وغير ذلك (٨) ﴾ ٢ (٩) ٢ ! لا تغني وشيئا مفعول به أو صفة لمصدر محذوف والجملة في موضع الصفة وحذف الضمير أي فيه ! ٢ (١٠) ٢ ! ليس نفي الشفاعة مطلقا فإن مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين وإنما المراد أنه لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له لقوله تعالى ! ٢ (١١) ٢ ! ولقوله ! ٢ (١٢) ٢ ! ولقوله ^ ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له ^ وانظر ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذن في الشفاعة فيقال له اشفع تشفع فكل ما ورد في القرآن من نفي الشفاعة مطلقا يحمل على هذا لأن المطلق يحمل على المقيد فليس في هذه الآيات

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين ٢٧١/٦

(٢) وإنها

(٣) لكبيرة

(٤)> البقرة : (٤٦) الذين يظنون أنهم . . . . .

(٥) يظنون

(٦)> البقرة : (٤٧) يا بني إسرائيل . . . . .

(٧) على العالمين

(٨)> البقرة : (٤٨) واتقوا يوما لا . . . . .

(٩) لا تجزي

(١٠) ولا يقبل منها شفاعة

(١١) من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه

(١٢) ما من شفيع إلا من بعد إذنه

المطلقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعة ! ٢ (١) ٢ ! هنا فدية ! ٢ (٢) ٢ ! جمع لأن النفس المذكورة يراد بها نفوس (٣) ﴾ ٢ (٤) ٢ ! تقديره اذكروا إذ نجيناكم أي نجينا آباءكم وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم منهم لأنهم ذريتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم فحكمهم كحكمهم وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء ومن ذكر مساويهم لأن ذريتهم راضون بها ! ٢ (٥) ٢ ! المراد من فرعون وآله وحذف لدلالة المعنى وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لا قرابته خاصة ويقال إن اسمه الوليد بن مصعب وهو من ذرية عمليق ويقال فرعون لكل من ولي مصر وأصل آل أهل ثم أبدلت من الهاء همزة وأبدل من الهمزة ألف فائدة كل ما ذكره في هذه الصور من الأخبار معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر بها من غير تعلم ! ٢ (٦) ٢ ! أي يلزمونهم به وهو استعارة من السوم في البيع وفسر سوء العذاب بقوله ! ٢ (٧) ٢ ! ولذلك لم يعطفه هنا وأما حيث عطفه في سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير ذلك بل فيكون عطف مغايرة أو أراد به ذلك وعطف لاختلاف اللفظة وكان سبب قتل فرعون لابناء بني إسرائيل وقيل إن آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذريته ملوكا وأنبياء فحسدوهم على ذلك وروى أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهن وقيل بل وكل على ذلك القوابل ولأجل هذا قيل معنى يستحيون يفتشون الحياة ضد الموت (٨) ﴾ ٢ (٩) ٢ ! فصلناه وجعلناه فرقا اثنى عشر طريقا على عدد

.٦٣

---

(١) عدل

(٢) ولا هم ينصرون

(٣)< البقرة : (٤٩) وإذ نجيناكم من . . . . .

(٤) وإذ نجيناكم

(٥) من آل فرعون

(٦) يسومونكم سوء العذاب

(٧) يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم

(٨)< البقرة : (٥٠) وإذ فرقنا بكم . . . . .

(٩) فرقنا بكم البحر

٦٤.   ." (١)

٦٥.   " صفحة رقم ٣٨

آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة أن تميل قلوبهم إليه لأن الإيمان به عندهم كفر والكفر موت ، وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للإسلام ، فالمطر هو الإسلام ، والظلمات ما فيه من البلاء والمحن ، والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة ، والبرق ما فيه من لوعد ،) يجعلون أصابعم في آذانهم (يعني المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك) والله محيط بالكافرين (يعني لا ينفعهم الهرب لأن الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم.)

البقرة : (٢٠ - ٢٣) يكاد البرق يخطف...

" يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين " ( ) يكاد البرق (يعني دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلمة أضاء لهم يعني المنافقين ، وإضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان) مشوا فيه (يعني على المسالمة بإظهار كلمة الإيمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا إنا معكم ،) وإذا أظلم عليهم قاموا (يعني إذا رأوا شدة وبلاء تأخروا) ولو شاء الله لذهب بسمعهم (أي بصوت الرعد) وأبصارهم (بوميض البرق.

وقيل : أي لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم وأبصارهم الباطنة) إن الله على كل شيء قدير (أي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه.

قوله عز وجل : (يا أيها الناس (قال ابن عباس : يا أيها الناس خطاب لأهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة ، وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين) اعبدوا ربكم

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل @ ط الكتاب العربي؟ ابن جزي الكلبي ٤٧/١

(قال ابن عباس : وحدوا ربكم وكل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد.
وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال والإنعام وهو الله تعالى) الذي خلقكم (أي ابتداع خلقكم على غير مثال سبق) والذين من قبلكم (أي وخلق الذين من قبلكم) لعلكم (لعل وعسى حرفا ترج وهما أي كل منهما من الله واجب) تتقون (أي لكي تنجوا من العذاب ، وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد) الذي جعل لكم الأرض فراشا (أي خلق لكم الأرض بساطا ووطاء مذللة." (١)

٦٦. " صفحة رقم ٤٤

) هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا (يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الأرض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا أما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها) ثم استوى إلى السماء (أي قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد ، وقال ابن عباس : ارتفع وفي رواية عنه صعد.
قال الأزهري معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك أن الله تعالى خلق الأرض أولا هم عمد إلى خلق السماء.
فإن قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها (" قلت : الدحو البسط فيحتمل أن الله تعالى خلق جرم الأرض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الأرض بعد ذلك ، فإن قلت هذا مشكل أيضا لأن قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا يقتضي أن ذلك لا يكون إلا بعد الدحو.
قلت : يحتمل أنه ليس هنا ترتيب وإنما هو على سبيل تعداد النعم كقوله الرجل لمن يذكره ما أنعم به عليه : ألم أعطك ؟ ألم أرفع قدرك عنك ؟ ألم أدفع عنك عنك ؟ ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم) فسواهن سبع سموات (خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتي ذكر خلق الأرض عند قوله تعالى : (قل أئنكم لتكفرون

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ط الفكر؟ الخازن ٣٨/١

بالذي خلق الأرض في يومين (" في سورة حم السجدة إن شاء الله تعالى) وهو بكل شيء عليم (يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات.

(

البقرة : (٣٠ – ٣٢) وإذ قال ربك...

" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " ( ) وإذ قال ربك (أي واذكر يا محمد إذ قال ربك وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله ، وقيل إذ زائدة والأول أوجه) للملائكة (جمع ملك وأصله مألك من المألكة والألوكة وهي لفظ البغوي وهي الرسالة وأراد بالملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك أن الله تعالى خلق الأرض والسماء وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض ، فعبدوا دهرا طويلا ، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا ، فبعث الله إليهم جنا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم إبليس وهم خزان الجنان فهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن إلى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الأرض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة ، وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه : ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه فقال له ولجنده) إني جاعل في الأرض خليفة (أي إني خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم." (١)

٦٧. "﴿ يكاد البرق ﴾ يعني دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلمة أضاء لهم يعني المنافقين ، وإضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان ﴿ مشوا فيه ﴾ يعني على المسالمة بإظهار كلمة الإيمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا إنا معكم ، ﴿ وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ يعني إذا رأوا شدة وبلاء تأخروا ﴿ ولو

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ط الفكر؟ الخازن ٤٤/١

شاء الله لذهب بسمعهم ﴾ أي بصوت الرعد ﴿ وأبصارهم ﴾ بوميض البرق . وقيل : أي لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم وأبصارهم الباطنة ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ أي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه . قوله عز وجل : ﴿ يا أيها الناس ﴾ قال ابن عباس : يا أيها الناس خطاب لأهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة ، وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ قال ابن عباس : وحدوا ربكم **وكل ما ورد في القرآن** من العبادة فمعناه التوحيد . وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال والإنعام وهو الله تعالى ﴿ الذي خلقكم ﴾ أي ابتداع خلقكم على غير مثال سبق ﴿ والذين من قبلكم ﴾ أي وخلق الذين من قبلكم ﴿ لعلكم ﴾ لعل وعسى حرفا ترج وهما أي كل منهما من الله واجب ﴿ تتقون ﴾ أي لكي تنجوا من العذاب ، وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشا ﴾ أي خلق لكم الأرض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها ، والحزن ما غلظ من الأرض ﴿ والسماء بناء ﴾ أي سقفا مرفوعا قيل إذا تأمل الإنسان المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج إليه فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والإنسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة في مصالحه ، فيجب على الإنسان المسخر له هذه الأشياء شكر الله تعالى عليها ﴿ وانزل من السماء ﴾ يعني السحاب ﴿ ماء ﴾ يعني المطر ﴿ فأخرج به ﴾ أي بذلك الماء ﴿ من الثمرات ﴾ يعني من ألوان الثمرات وأصناف النبات ﴿ رزقا لكم ﴾ أي وعلفا لدوابكم ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ يعني أمثالا تعبدونهم كعادته ، والند المثل ﴿ وانتم تعلمون ﴾ يعني أنكم بعقولكم تعلمون أن هذه الأشياء والأمثال لا يصح جعلها أندادا لله ، وأنه واحد خالق لجميع الأشياء وأنه لا مثل له ولا ضد له .

قوله تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب ﴾ أي إن كنتم في شك لأن الله تعالى عليهم أنهم شاكون ﴿ مما نزلنا على عبدنا ﴾ أي محمد A لما تقرر إثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وأنه الواحد الخالق وأنه لا ضد له ولا ند أتبعه بإقامة الحجة على إثبات نبوة محمد A ما يدحض الشبهة

في كون القرآن معجزة ، وأنه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما تدعون فيه ، وقوله على عبدنا إضافة تشريف لمحمد A وأن القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى ﴿ فأتوا ﴾ أمر تعجيز ﴿ بسورة ﴾ والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ، ومنه سور البلد لارتفاعه ، سميت سورة لأن القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن ﴿ من مثله ﴾ أي مثل القرآن ، وقيل الضمير في مثله راجع إلى عبدنا ، يعني من مثل محمد A أمي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن أحد ، ورد الضمير إلى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التحدي وإنما وقع الكلام في المنزل ألا ترى أن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأتوا أنتم بسورة مما يماثله ويجانسه ، ولو كان الضمير مردودا إلى محمد A لقال وإن ارتبتم في أن محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا مثل محمد A ، ويدل على كون القرآن معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الإيجاز والأطالة فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الأول ، وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الأشعار والخطب والرسائل ولهذا تحديت العرب به ، فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الأشعار والخطب والرسائل ، حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وأن أصله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله ﴾ أي استعينوا بآلهتكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى إن كان الأمر كما تقولون أنها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من أمر محمد A وإلا فاعلموا أنكم مبطلون في دعواكم أنها إلهة . وقيل معناه وادعوا أناسا يشهدون لكم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أن محمد A تقوله من تلقاء نفسه .." (١)

٦٨. "﴿ وإذ قال ربك ﴾ أي واذكر يا محمد إذ قال ربك وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله ، وقيل إذ زائدة والأول أوجه ﴿ للملائكة ﴾ جمع ملك وأصله مألك من المألكة والألوكة وهي لفظ البغوي وهي الرسالة وأراد بالملائكة الذين كانوا في الأرض

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ موقع التفاسير؟ الخازن ١٩/١

وذلك أن الله تعالى خلق الأرض والسماء وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض ، فعبدوا دهرا طويلا ، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا ، فبعث الله إليهم جنا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم إبليس وهم خزان الجنان فهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن إلى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الأرض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة ، وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه : ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه فقال له ولجنده ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ أي إني خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم إلي فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم E لأنه خلف الجن وجاء بعدهم . وقيل لأنه يخلفه غيره والصحيح إنه إنما سمي خليفة لأنه خليفة الله في أرضه لإقامة حدوده وتنفيذ قضاياه ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ أي بالمعاصي ﴿ ويسفك الدماء ﴾ أي بغير حق كما فعل الجن . فإن قلت من أين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول؟ قلت يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك بإخبار الله إياهم أو قاسوا الشاهد على الغائب ، وقيل إنهم لما رأوا أن آدم خلق من أخلاط مركبة علموا أنه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء فلهذا قالوا ذلك . وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة ، وقالوا لمن خلقت هذه النار؟ قال لمن عصاني فلما قال إني جاعل في الأرض خليفة قالوا هو ذلك . فإن قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض . قلت ذهب بعضهم إلى أنهم غير معصومين واستدل على ذلك بوجوه منها قوله ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ ومن ذهب إلى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال إنما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الإنكار والاعتراض فإنهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى وإحاطة علمه بما خفي عليهم ، ولهذا أجابهم بقوله ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ وقيل : إن العبد المخلص في حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في إعظام الله

D : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ أي نقول : سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن أبي ذر أن رسول الله A سئل أي الكلام أفضل قال." (١)

٦٩. "وقيل : مجاز عن الخشية؛ لأنها أيضا من ثمراته ، ورجحه الطبري ، وجعله الزمخشري من باب المقابلة ، يعني أن الكفار لما قالوا : أما يستحي رب محمد أن يضرب المثل بالمحقرات ، « قوبل » قولهم ذلك بقوله : ﴿ إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ﴾ [ونظيره قول] أبي تمام : [الكامل]

٣٢٢- من مبلغ أفناء يعرب كلها ... أني بنيت الجار قبل لمنزل

لو لم يذكر بناء الدار لم يصح بناء الجار .

وقيل : معنى لا يستحيي ، لا يمتنع ، وأصل الاستحياء الانقباض عن الشيء ، والامتناع منه؛ خوفا من مواقعة القبيح ، وهذا محال على الله تعالى ، وفي « صحيح مسلم » عن أم سلمة قالت : « جاءت أم سليم إلى النبي A فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق » المعنى لا يأمر بالحياء فيه ، ولا يمتنع من ذكره .

قال ابن الخطيب : « القانون في أمثال هذه الأشياء ، أن كل صفة ثبتت للعبد مما يختص بالأجسام ، فإذا وصف الله بذلك ، فلذلك محمول على نهايات الأعراض ، لا على بدايات الأعراض ، مثاله : حالة تحصل للإنسان ، ولكن هل لها مبدأ ومنتهى ، أما المبدأ فهو التغير الجسماني الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إليه القبيح ، وأما النهاية فهو أن يترك الإنسان ذلك الفعل ، فإذا ورد الحياء في حق الله تعالى ، فليس المراد منه ذلك الخوف الذي هو مبدأ الحياء ومقدمته ، بل ترك الفعل الذي هو منتهاه وغايته ، وكذلك الغضب [له مقدمة] وهو غليان دم القلب وشهوة الانتقام وله غاية ، وهي إنزال العقاب بالمغضوب عليه ، فإذا وصفنا الله -تعالى- بالغضب ، فليس المراد ذلك المبدأ ، يعني شهوة الانتقام ، وغليان دم القلب ، بل المراد تلك النهاية ، وهي إنزال العقاب ، فهذا هو القانون الكل في هذا الباب » .

فصل في تنزيه الخالق سبحانه

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ موقع التفاسير؟ الخازن ١/٢٥

قال القاضي : ما لا يجوز على الله –تعالى– من هذا الجنس إثباتا ، فيجب ألا يطلق على طريقة النفي عليه ، وإنما يقال : إنه –تعالى– لا يوصف به ، فأما أن يقال : « لا يستحي » ويطلق عليه فمحال؛ لأنه يوهم نفي ما يجوز عليه ، وما ذكره الله –تعالى– في كتابه من قوله : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ [الإخلاص : ٣] فهو بصورة النفي ، وليس بنفي على الحقيقة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ ما اتخذ الله من ولد ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وهو يطعم ولا يطعم ﴾ [الأنعام : ١٤] وليس **كل ما ورد في القرآن** جائز أن يطلق في المخاطبة ، فلا يجوز أن يطلق ذلك إلا مع بيان أن ذلك محال .

ولقائل أن يقول : لا شك أن هذه الصفات منتفية عن الله تعالى ، فكان الإخبار عن انتفائها يدل على صحتها عليه .

فنقول : هذه الدلالة ممنوعة ، وذلك أن تخصيص هذا النفي بالذكر ، لا يدل على ثبوته لغيره ، لو قرن اللفظ بما يدل على انتفاء الصحة كان ذلك أحسن ، من حيث إنه يكون مبالغة في البيان ، وليس إذا كان غيره أحسن أن يكون ذلك قبيحا .." (١)

٧٠. "قوله : ﴿كما أمرت ﴾ الكاف في محل النصب ، إما على النعت لمصدر محذوف ، كما هو المشهور عند المعربين قال الزمخشري : أي استقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل منها . وإما على الحال من ضمير ذلك المصدر . واستفعل هنا للطلب ، كأنه قيل : اطلب الإقامة على الدين ، كما تقول : استغفر أي : اطلب الغفران .

قوله : ﴿ ومن تاب معك ﴾ في « من » وجهان ، أحدهما : أنه منصوب على المفعول به ، كذا ذكره أبو البقاء ويصير المعنى : استقم مصاحبا لمن تاب مصاحبا لك ، وفي هذا المعنى نقو عن ظاهر اللفظ .

والثاني : أنه مرفوع فإنه نسق على المستتر في « استقم » ، وأغنى الفصل الجار عن تأكيده بضمير منفصل في صحة العطف ، وقد تقدم هذا البحث في قوله : ﴿ اسكن أنت وزوجك

---

(١) اللباب في علوم الكتاب @ موقع التفاسير؟ ابن عادل ١/١٧٥

﴾ [البقرة : ٢٥] ، وأن الصحيح أنه من عطف الجمل لا من عطف المفردات ، ولذلك قدره الزمخشري فاستقم أنت ، وليستقم من تاب معك ، فقدر الرافع له فعلا لائقا برفعه الظاهر .

وقال الواحدي : محلها ابتداء تقديره : ومن تاب معك فليستقم

فصل

معنى الآية : ﴿ فاستقم كمآ أمرت ﴾ على دين ربك ، والعمل به ، والدعاء إليه ، كما أمرت ، ﴿ ومن تاب معك ﴾ أي : من معك فليستقيموا ، قال عمر بن الخطاب- Bه- : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ، ولا تروغ روغان الثعلب .

روى هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي- Bه- قال : « قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك ، قال : » قل آمنت بالله ثم استقم « .

فصل

هذه الآية أصل عظيم في الشريعة ، وذلك أن القرآن لما ورد بترتيب الوضوء في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيه ، لقوله : ﴿ فاستقم كمآ أمرت ﴾ ، ولما » ورد الأمر في الزكاة بأداء الإبل من الإبل ، والبقر من البقر وجب اعتبارها ، وكذا القول في كل ما ورد أمر الله به .

قال ابن الخطيب : وعندي أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس؛ لأنه لما دل عموم النص على حكم وجب العمل بمقتضاه ، لقوله تعالى- : ﴿ فاستقم كمآ أمرت ﴾ فالعمل بالقياس انحراف عنه .

ثم قال : ﴿ ولا تطغوا ﴾ أي : لا تجوزوا أمري ولا تعصوني وقيل : لا تغلوا فتزيدوا على أمرت ونهيت والطغيان : تجاوز الحد . وقيل : لا تطغوا في القرآن فتحلوا حرامه وتحرموا حلاله وقال ابن عباس - Bهما- : « تواضعوا لله ولا تتكبروا على أحد » ﴿ إنه بما تعملون بصير ﴾ قرأ العامة « تعملون » بالتاء « جريا على الخطاب المتقدم .

وقرأ الحسن والأعمش وعيسى الثقفي بياء الغيبة ، وهو التفات من خطاب لغيبة عكس ما تقدم في ﴿ إنه بما يعملون خبير ﴾ .." (١)

٧١. "قوله : ﴿ اذهبآ إلى فرعون إنه طغى ﴾ ذكر المذهوب إليه في قوله : ﴿ اذهبآ إلى فرعون ﴾ وحذفه في الأول في قوله : ﴿ اذهب أنت وأخوك ﴾ [طه : ٤٢] اختصارا في الكلام .

وقال القفال : فيه وجهان :

أحدهما : أن قوله : ﴿ اذهب أنت وأخوك ﴾ [طه : ٤٢] يحتمل أن يكون كل واحد منهما مأمورا بالذهاب على الانفراد ، فقيل مرة أخرى : « اذهبا » ليعرفا أن المراد منه أن يشتغلا بذلك جميعا لا أن ينفرد به أحدهما دون الآخر .

والثاني : أن قوله : ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ﴾ [طه : ٤٢] أمر بالذهاب إلى كل الناس من بني إسرائيل وقوم فرعون ، ثم قوله : ﴿ اذهبآ إلى فرعون ﴾ أمر بالذهاب إلى فرعون وحده .

قيل : وهذا فيه بعد ، بل الذهابان متوجهان لشيء واحد وهو فرعون ، وقد حذف من كل الذهابين ما أثبته في الآخر ، وذلك أنه حذف المذهوب إليه من الأول وأثبته في الثاني ، وحذف المذهوب به ، وهو « بآياتي » من الثاني وأثبته في الأول .

فإن قيل : قوله : ﴿ اذهبآ إلى فرعون ﴾ خطاب من موسى وهارون ، (وهارون عليه السلام) لم يكن حاضرا هناك ، وكذا في قوله تعالى : ﴿ قالا ربنآ إننا نخاف أن يفرط علينآ أو أن يطغى ﴾ [طه : ٤٥] وأجاب القفال بوجوه :

أحدها : أن الكلام كام مع موسى إلا انه كان متبوع هارون ، فجعل الخطاب معه خطابا مع هارون ، (وكلام هارون) على سبيل التقدير بالخطاب في تلك الحالة ، وإن كان مع موسى -عليه السلام- وحده ، إلا أنه تعالى أضافه إليهما كما في قوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها ﴾ [البقرة : ٧٢] وقوله : ﴿ لئن رجعنآ إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ [المنافقون : ٨] روي أن القائل هو عبد الله ابن أبي وحده .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب @ موقع التفاسير؟ ابن عادل ١٨٦/٩

وثانيها : يحتمل أن الله تعالى لما قال : ﴿ قد أوتيت سؤلك ياموسى ﴾ [طه : ٣٦] سكت حتى لقي أخاه ، ثم إن الله –تعالى– خاطبهما بقوله : ﴿ اذهبآ إلى فرعون ﴾ .

وثالثها : حكي في مصحف ابن مسعود « قال ربنا إننا نخاف » أي أنا وأخي .

قوله : ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾ قرأ أبو معاذ « قولا لينا » وهو تخفيف من لين كميت في ميت .

وقوله : « لعله » فيه أوجه :

أحدها : أن « لعل » على بابها للترجي ، وذلك بالنسبة إلى المرسل وهو موسى وهارون ، أي اذهبا على رجائكماوطمعكما في إيمانه أي اذهبا مترجين طامعين ، وهذا معنى قول الزمخشري ولا يستفقيم أن يرد ذلك في حق الله تعالى ، إذ هو عالم بعواقب الأمور . وعن سيبويه : كل ما ورد في القرآن من (لعل ، وعسى) فهو من عند الله واجب . يعني أنه يستحيل بقاء معناه في حق الله تعالى .

والثاني : أن « لعل » بمعنى (كي) فتفيد العلية ، وهذا قول الفراء قال : كما تقول : اعمل لعلك تأخذ أجرك ، أي : كي تأخذ .." (١)

٧٢. "الضرر والنفع. وما هذا سبيله حقيق أن ينظر إليه بعين التحقير (١) لا التوقير، والفعل ينسب إلى الحامل عليه، كما ينسب إلى الفاعل والمفعول والمصدر والزمان والمكان والسبب؛ إذ للفعل بهذه الأمور تعلقات وملابسات، يصح الإسناد إليها على وجه الاستعارة.

. (الثالث): أنه لما رأى عليه السلام منهم بادرة (٢) تعظيم الأكبر، لكونه أكمل من باقي الأصنام، وعلم أن ما هذا شأنه، يصان أن يشترك معه من دونه في التبجيل والتكبير، حمله ذلك على تكسيرها، منبها لهم على أن الله [تعالى] أغير، وعلى تمحيق الأكبر أقدر. وحري أن يخص بالعبادة؛ فلما كان الكبير هو الحامل على تكسير الصغير، صحت النسبة إليه، على ما سلف. ولما تبين لهم الحق رجعوا إلى أنفسهم، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون، إذ وضعتم العبادة بغير موضعها.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب @ موقع التفاسير؟ ابن عادل ١٦٧/١١

وذكر الشيخ عبد القاهر (٣) أن السؤال إذا كان ملفوظا به، فالأكثر ترك الفعل في الجواب والاقتصار على الاسم وحده. وإن كان مضمرا، فوجب التصريح بالفعل لضعف الدلالة عليه، فتعين أن بلفظ به.

وهو مشكل بقوله تعالى: (يسبح له فيها بالغدو والآصال* رجال) (النور: ٣٦ ـ ٣٧) [فإنه محمول على تقدير سؤال] (٤) فيمن قرأها بفتح الباء (٥)، كأنه قيل: من يسبحه؟ فقيل: يسبحه رجال، ونظيره ضرب زيد وعمرو، على بناء «ضرب» للمفعول، نعم الأولى ذكر الفعل لما ذكر، وعليه يخرج كل ما ورد في القرآن من لفظ «قال» مفصولا، غير منطوق به، نحو: (هل أتاك حديث ضيف) [٢٥٨ / ب] (إبراهيم المكرمين* إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام [قوم منكرون الآيات]) (٦) (الذاريات: ٢٤ ـ ٢٥)، كأنه قيل: فما (٧) قال لهم؟ (قال ألا تأكلون) (الذاريات: ٢٧) ولذلك قالوا: «لا تخف». ٤/ ٥٢

---

(١) تصحفت في المخطوطة إلى (تحقيق).

(٢) في المخطوطة (زيادة).

(٣) انظر قوله في كتابه «دلائل الإعجاز» ص ٨٨ ـ ٨٩ الاستفهام له التقدم والصدارة.

(٤) ليست في المطبوعة.

(٥) قال البنا الدمياطي في «إتحاف فضلاء البشر» ص ٣٢٣ عند ذكره سورة النور (واختلف في (يسبح) فابن عامر وأبو بكر بفتح الموحدة مبنيا للمفعول، ونائب الفاعل له، وهو أولى من الأخيرين، و (رجال) حينئذ مرفوع بمضمر وكأنه جواب سؤال، فكأنه قيل: من يسبحه؟ فقيل رجال ...).

(٦) ليست في المطبوعة.

(٧) في المخطوطة (فما ذا قيل لهم؟ وأجيب قيل لهم ألا تأكلون).." (١)

٧٣. "﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ تناولوا ما اصطادت النفوس المطمئنة المعلمة بعلوم الشريعة المؤدبة بآداب الطريقة كمالية الدين الأزلية وهو يوم ﴿ واذكروا ﴾ عند تناول كل

---

(١) البرهان في علوم القرآن @ ط المعرفة؟ الزركشي، بدر الدين ٤٧/٤

ما ورد عليكم من الأمور الدنيوية والأخروية ﴿ اسم الله ﴾ أي لا تصرفوا فيه إلا لله بالله في الله ﴿ اليوم ﴾ يعني الذي فيه ظهر كمالية الدين الأزلية وهو يوم عرفة . وهذه فائدة التكرار ﴿ أحل لكم الطيبات ﴾ ﴿ أحل لكم الطيبات ﴾ التي تتعلق بسعادة الدارين بل أحل لكم التخلق بالأخلاق الطيبات وهي أخلاق الله المنزهات عن الكميات والكيفيات ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب ﴾ وهم الأنبياء ﴿ حل لكم ﴾ أي غذيتم بلبان الولاية كما غذوا بلبان النبوة ﴿ وطعامكم حل لهم ﴾ أي منبع لبن النبوة والولاية واحد وإن كان الثدي اثنين ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ [البقرة : ٦٠] وللنبي وراء ذلك كله مشرب « أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني » ﴿ والمحصنات من المؤمنات ﴾ وهي أبكار حقائق القرآن ﴿ والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ﴾ أبكار حقائق الكتب المنزلة على الأمم السالفة أي التي أدرجت في القرآن ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ [السجدة : ١٧] ﴿ إذا آتيتموهن أجورهن ﴾ وهي بذل الوجود محصنين في هذا البذل ليكون على وجه الحق ﴿ غير مسافحين ﴾ على وجه الطبع ﴿ ولا متخذي أخدان ﴾ غير ملتفتين إلى شيء من الأكوان ﴿ ومن يكفر بالإيمان ﴾ بهذ المقامات ﴿ فقد حبط عمله ﴾ الذي عمل من دون المكاشفات ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ إيمانا حقيقيا عند خطاب ألست بربكم ﴿ إذا قمتم ﴾ من نوم الغفلة ﴿ إلى الصلاة ﴾ وهي معراجكم للرجوع إلى مكامن قربكم ﴿ فاغسلوا وجوهكم ﴾ التي توجهتم بها إلى الدنيا ولطختموها بالنظر إلى الأغيار بماء التوبة والاستغفار ﴿ وأيديكم إلى المرافق ﴾ أي اغسلوا أيديكم من التمسك بالدارين حتى الصديق الموافق والرفيق المرافق ﴿ وامسحوا برؤسكم ﴾ ببذل نفوسكم ﴿ وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ من طين طبيعتكم والقيام بأنانيتكم ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ ولا يحملنكم حسد الحساد وعداوة الأنذال ﴿ على أن لا تعدلوا ﴾ مع أنفسكم ﴿ إذ هم قوم ﴾ من الشيطان والنفس والهوى ﴿ أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ والله خير موفق ومعين .." (١)

٧٤. "فإن قيل : أليس أن أصحاب الأرصاد أثبتوا بالبراهين تسعة أفلاك وهي كرة القمر ، فكرة عطارد ، فكرة الزهرة ، فكرة الشمس ، فكرة المريخ ، فكرة المشتري ، فكرة زحل ،

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان @ موقع التفاسير؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ١٤٠/٣

فالفلك الذي فيه الكواكب الثابتة ، فالفلك الأعظم وهو متحرك كل يوم وليلة على التقرب دورة واحدة ؟

أجيب : بأن ما ذكروه ليس مستندا إلى دليل شرعي فلا ينبغي اعتباره. قال البيضاوي : وإن صح فليس في الآية نفي الزائد مع أنه إن ضم إليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وقوله تعالى : ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ أي : مجملا ومفصلا فيه تعليل كأنه قال : ولكونه عالما بكيفية الأشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل والوجه الأنفع واستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الأنيق كان عليما فإن إتقان الأفعال وإحكامها وتخصيصها بالوجه الأحسن الأنفع لا يتصور إلا من عالم حكيم رحيم أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادر على إعادتكم. وقرأ حمزة والكسائي ثم استوى وفسواهن بالإمالة ، وورش بالفتح وبين اللفظين ، والباقون بالفتح ، وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي وهو بسكون الهاء ، والباقون بضمها ، ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿إذ قال ربك للملائكة﴾ وقيل : إذ زائدة أي : وقال ربك : **وكل ما ورد في القرآن** من هذا النحو فهذا سبيله وهو إلا إما يقدر اذكر وهو الأولى أو تكون إذ مزيدة وإذ وإذا ظرفا توقيت إلا أن إذ للماضي وإذا للمستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر ، قال المبرد : إذا جاء إذ مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله تعالى : ﴿وإذ يمكر﴾ (الأنفال ، ٣٠) يعني : وإذ مكروا ، وإذا جاء إذا مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله تعالى : ﴿إذا جاء نصر الله﴾ (الفتح ، ١) أي : سيجيء ، وقرأ أبو عمرو بإدغام اللام في الراء بخلاف عنه ، والباقون بالإظهار ، والملائكة جمع ملك أصله ملاك والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الألوكة وهي الرسالة لأنهم وسايط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسل الله أو كالرسل إليهم لتوسط الأنبياء بينهم وبين الناس واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المسلمين إلى

٥٣

جزء : ١ رقم الصفحة : ٥٢." (١)

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير @ ط العلمية؟ الخطيب الشربيني ٤٣/١

٧٥. "فإن قيل : كيف أطلق لفظ الجمع على الاثنين ؟

أجيب : بأن العصا كانت آيات انقلابها حيوانا ثم إنها في أول الأمر كانت صغيرة لقوله تعالى : تهتز كأنها جان ثم كانت تعظم وهذه آية أخرى ثم كانت تصير ثعبانا وهذه آية أخرى ثم إنه عليه السلام كان يدخل يده في فمها فما كانت تضره فهذه آية أخرى ثم كانت تنقلب خشبة فهذه آية أخرى وكذلك اليد فإن بياضها آية وشعاعها آية أخرى ثم زوالها بعد ذلك آية أخرى فدل ذلك على أنها كانت آيات كثيرة.

وقيل : الآيات العصا واليد وحل عقدة لسانه وقيل : معناه أمدكما بآياتي وأظهر على أيديكما من الآيات ما تنزاح به العلل من فرعون وقومه ﴿ولاتنيا﴾ أي : لا تفترا ولا تقصرا ﴿في ذكري﴾ أي : بتسبيح وغيره فإن من ذكر جلال الله استخف غيره فلا يخاف أحدا وتقوى روحه بذلك الذكر فلا تضعف في مقصوده ، ومن ذكر الله لا بد وأن يكون ذاكر إحسانه ، وذاكر إحسانه لا يفتر في أداء أوامره وقيل : لاتنيا في ذكرى عند فرعون بأن تذكرا لفرعون وقومه أن الله لا يرضى منهم الكفر وتذكرا لهم أمر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب وقيل : المراد بالذكر تبليغ الرسالة

﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ أي : بادعاء الربوبية

تنبيه : ذكر الله تعالى المذهوب إليه هنا وهو فرعون وحذفه في قوله اذهب أنت وأخوك بآياتي اختصارا في الكلام وقال القفال فيه وجهان ؛ أحدهما : أن قوله اذهب أنت وأخوك بآياتي يحتمل أن يكون كل واحد منهما مأمورا بالذهاب على الانفراد فقيل مرة أخرى اذهبا لتعرفا أن المراد منه أن يشتغلا بذلك جميعا لا أن ينفرد به أحدهما دون الآخر والثاني : أن قوله اذهب أنت وأخوك بآياتي أمر بالذهاب إلى كل الناس من بني إسرائيل وقوم فرعون ثم إن قوله تعالى : اذهبا إلى فرعون أمر بالذهاب إلى فرعون وحده واستبعد هذا بل الذهابان متوجهان لشيء واحد وقد حذف من كل من الذهابين ما أثبته في الآخر وقيل : إنه حذف المذهوب إليه من الأول وأثبته في الثاني ، وحذف المذهوب به وهو بآياتي من الثاني وأثبته في الأول.

﴿فقولا له قولا لينا﴾ أي : مثل ﴿هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ (النازعات : ١٨ ، ١٩)

فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة ، فإن قيل : لم أمر الله تعالى باللين مع الكافر الجاحد ؟
أجيب : بأن عادة الجبار إذا أغلظ عليه في الوعظ يزداد عتوا وتكبرا فأمر باللين حذرا من أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليهما واحتراما لما له من حق التربية وقيل : كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل : عداه شبابا لا هرم بعده وملكا لا يزول إلا بالموت وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذي دعاه إليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فغلبه على رأيه وقوله تعالى : ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ متعلق باذهبا أو قولا أي : باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويسعى بأقصى وسعه ، قال الزمخشري : ولا يستقيم أن يراد ذلك في حق الله تعالى إذ هو عالم بعواقب الأمور ، وعن سيبويه **كل ما ورد في القرآن** من لعل وعسى فهو من الله واجب بمعنى أنه يستحيل

٥١٣

بقاء معناه في حق الله تعالى وقال الفراء : إن لعل بمعنى كي فتفيد العلية كما تقول اعمل لعلك تأخذ أجرتك.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٥١٠

فائدة : قرأ رجل عند يحيى بن معاذ ﴿فقولا له قولا لينا﴾ فبكى يحيى وقال إلهي هذا برك بمن يقول أنا الإله فكيف برك بمن يقول أنت الإله فإن قيل : ما الفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن ؟
أجيب : بأن ذلك الإلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الأول أي : إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى. ويروى عن كعب أنه قال : والذي يحلف به كعب إنه لمكتوب في التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسي قلبه فلا يؤمن ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية ، وذلك حين ألجمه الغرق قال : ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي

آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ (يونس ، ٩٠)

ثم إن موسى وهارون.." (١)

٧٦. "وقد قيل : المراد بالعبادة ما يعم أفعال القلب أيضا لما أنها عبارة عن غاية التذلل والخضوع . وروي عن ابن عباس Bهما : أن **كل ما ورد في القرآن** من العبادات فمعناها التوحيد ، وقيل معنى اعبدوا : وحدوا وأطيعوا ، ولا شك في كون بعض من الفرقتين الأخيرتين ممن لا يجدي فيهم الإنذار بموجب النص القاطع ، لما أن الأمر لقطع الأعذار ليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الإيمان بعدم إيمانهم أصلا ، إذ لا قطع لأحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا ، وورد النص بذلك لكونهم في أنفسهم بسوء اختيارهم كذلك لا أن كونهم كذلك لورود النص بذلك ، فلا جبر أصلا .

نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى : ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ وإيراده تعالى بعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الأمر بالإشعار بعليتها للعبادة ﴿ الذى خلقكم ﴾ صفة أجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل إثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين ، وحمل الرب على ما هو أعم من الرب الحقيقي ، والآلهة التي يسمونها أربابا ، والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء ، وأصله التقدير ، يقال : خلق النعل أي قدرها وسواها بالمقياس ، وقرىء خلقكم بإدغام القاف في الكاف ﴿ والذين من قبلكم ﴾ عطف على الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل ، فإن خلق أصولهم من موجبات العبادة كخلق أنفسهم ، ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف أي كانوا من زمان من قبل زمانكم ، وقيل : خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق وأقيم الضمير مقامه ، والمراد بهم من تقدمهم من الأمم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل ، وتخصيصه بالمشركين يؤدي إلى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم ، وإخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصول عندهم أيضا مع أنهم غير معترفين بغاية الخلق وإن اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير @ ط العلمية؟ الخطيب الشربيني ٣٦٥/٢

للإيذان بأن خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لأحد إنكاره ، وقرىء وخلق من قبلكم ، وقرىء والذين من قبلكم بإقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته توكيدا كإقحام اللام بين المضافين في لا أبا لك ، أو بجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتدأ محذوف ، أي الذين هم أناس كائنون من قبلكم ﴿ لعلكم تتقون ﴾ المعنى الوضعي لكلمة لعل هو إنشاء توقع أمر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول إما محبوب فيسمى ترجيا ، أو مكروه فيسمى إشفاقا ، وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل إما من جهة المتكلم كما في قولك : لعل الله يرحمني وهو الأصل الشائع في الاستعمال .." (١)

٧٧. "﴿ ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ﴾ كأنه قيل : ألم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فيعذب هؤلاء أيضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لأوائلهم : عاد الأولى ولأواخرهم : عاد الآخرة قال عماد الدين بن كثير : « كل ما ورد في القرآن خبر عاد الأولى إلا ما في سورة الأحقاف » وقوله تعالى : ﴿ إرم ﴾ عطف بيان لعاد للإيذان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أي سبط إرم أو أهل إرم على ما قيل من أن إرم اسم بلدتهم أو أرضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالإضافة وأيا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرىء إرم بإسكان الراء تخفيفا كما قرىء بورقكم ﴿ ذات العماد ﴾ صفة لإرم أي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالأعمدة ومنه قولهم : رجل عمد وعمدان إذا كان طويلا أو ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد أو ذات البناء الرفيع أو ذات الأساطين على أن إرم اسم بلدتهم وقرىء إرم ذات العماد بإضافة إرم إلى ذات العماد .

والإرم العلم أي بعاد أهل إعلام ذات العماد على أنها اسم بلدتهم وقرىء إرم ذات العماد أي جعلها الله تعالى رميما بدل من فعل ربك وقيل : هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروي أنه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال : أبني مثلها فبنى إرم في بعض

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم @ موقع التفاسير؟ أبو السعود ١/٧٢

صحاري عدن في ثلاثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا . وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال : هي إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب إبل له ثم التفت إلى ابن قلابة فقال : هذا ذلك الرجل .." (١)

٧٨. "قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمى بنوا هاشم هاشما وبنو تميم تميما فلفظ عاد اسم للقبيلة المنتسبة إلى عاد وقد قل لأوائلهم عاد الأولى ولأواخرهم عاد الأخيرة قال عماد الدين بن كثير **كل ما ورد في القرآن** خبر عاد الأولى إلا ما في سورة الأحقاف ﴿إرم﴾ عطف بيان لعاد للإيذان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أي سبط ارم أو ل ارم على ما قيل من أن ارم اسم بلدتهم أو أرضهم التي كانوا فيها وكانت منازلهم بين عمان إلى حضر موت وهي بلاد الرمال والأحقاف ويؤيده القراءة بالإضافة وأياما كان فامتنع صرفها للتعريف والتؤنيث وفي "المفردات" الآرام أعلام تبنى من الحجارة وارم ذات العماد إشارة إلى إعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة أو على هيئة القبور وفيه أيضا حذف مضاف بمعنى أهل الإعلام ﴿ذات العماد﴾ صفة لارم واللام للجنس الشامل للقيل والكثير والعماد كالعمود والجمع عمد وعمد بفتحتين وبضمتين وأعمدة أي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالأعمدة أو ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد يطلبون الكلأ حيث كان فإذا هاجت الريح وييس العشب رجعوا إلى منازلهم أو ذات البناء الرفيع وكانوا ذات بنية مرفوعة على العمد وكانوا يعاجلون الأعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت قصورهم ترى من أرض بعيدة أو ذات الأساطين إذ كانت مدينتهم ذات أبنية مرفوعة على الاسطوانات على أن أرم اسم بلدتهم وقال السهيلي رحمه الله ارم ذات العماد وهو جيرون بن سعد بن ارم وهو اذي بني مينة دمشق على عمد من رخام ذكر أنه أدخل فيها أربعمائة

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم @ موقع التفاسير؟ أبو السعود ١٠/٧

ألف عمود وأربعين ألف عماد من رخام فالمراد هذه العماد التي كان البناء عليها في هذه المدينة وكانت تسمى جيرون وبه تعرف وسميت دمشق بدمشق بن نمرود عدو إبراهيم الخليل عليه السلام وكان دمشق قد أسلم وبنى جامع إبراهيم في الشأم انتهى لعل هذه الرواية أصح فليتأمل ﴿التى لم يخلق مثلها فى البلاد﴾ صفة أخرى لارم والضمير لها على إنها اسم القبيلة أي لم يخلق مثلهم في عظم الإجرام والقوة في الآفاق والنواحي حيث كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم ولذا كانوا يقولون من أشد منا قوة ونظيرهم في الطيور الرخ وهو طير في جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع يحمل حجرا في رجله كالبيت العظيم ويلقيه على السفينة في البحر أو لم يخلق مثل مدينتهم في جميع بلاد الدنيا فالضمير لها على إنها اسم البلدة.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٢٠

وقصه آن بر سبيل إجمال آنست كه عبد الله بن قلابه بطلب شترى كم شده صحراى عدن ميكشت دربيا باني بشهري رسيدكه باره محكم داشت كه اساس آن از جزع يماني وبر حوالى آن قصور بسيار بودباميد آنكه كسى بيندو أحوال شترخود رسد بدر حصار آمد درى ديد هردو مصراعش مكلل بجواهر قيمتي وهيكس را آنجا نيافت متحيرشد وون بشهر درامد حيرتش بيفزوده قصرها ديدبرستونها زبرجد وياقوت بناكرده خشتى از زر وخشتى ازنقره وفرشها برهمين وتيره بجاي سنك ريزه مرواريدهاي آبدار ريخته ودر حوالى هرقصرى آبهاي روان بروري لؤلؤ ومرجان ودرختان بسيار تنهاى آن ازرز وبركهاي آن اززبرجد وشكوفهاي آن ازسيم باخود كفت هذه الجنة التي وعد المتقون (مصراع).

٤٢٣

اين هـ منزل هـ بهشت اين هـ مقمست اينجا

وقال والذي بعث محمدا ما خلق الله مثل هذا في الدنيا س قدري ازان جواهر برداشت ودرس بالحق وشت بست وبيمن باز آمد ومردمان آن كوهررا دردست او بيدند وحمل بر يافتن كنجى كره قصه وى درزبانها افتاد تاحدى كه حال اورا بمعاويه كه ران وقت حاكم شام بود آنها كردند معاويه أورا طلبيد وتمام حكايت اواز أول تا آخر استماع كردس اورا در مجلس بنشانيد وكعب الأحبار را طلبيده رسيدكه دردنيا شهري هست كه بناي اواز زرونقره

باشد ودرختان مكلل بجواهر كعب كفت آرى شهريست كه حق سبحانه وتعالى در قرآن مجيد ياد فرمودكه (لم يخلق مثلها في البلاد) وآنراشداد بن عاد ساخته واو بادشاه عظيم قدر بوده است ونهضد سال عمر داشت هرجا در عالم زرى وجوهري بوده همه را جمع كراده وصد قهرمان باهر يكى هزار فرستاد تا شهرارم را بساختند وبسيصد سال باتمام رسيده سال ديكر تهيئه راه اشتغال نمود امر أو ملوك عالم را جمع كرد واز دار السلطة خود بتماشاى آن شهر متوجه شديك شبه راه ميان أو وآن بنامانده بودكه حق سبحانه وتعالى ملكي فرستاد تا صيحه برايشان زدوهمه بمردند وان شهراز نظر مردم وشيده شد نانه أصحاب كهف درغار وخوانده ام كه در حكومت تومردى كوتاه بالأسرخ رنك سير شم كه برروى لأ خالي وبركردن آن علامتي باشد بطلب شترى بدآنجارسد وآنرا بيند س بازنكريست وابن قلابه راديد كفت هو والله ذلك الرجل.

(١) ".

٧٩. "ويؤيد هذا أن حفظها لفظا من دون اتصاف كحفظ القرآن من دون عمل، لا ينفع كما جاء: ((يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم))، ولكن هذا الذي ذكره لا يمنع من ثواب من قرأها سردا، وإن كان متلبسا بمعصية، وإن كان ذلك مقام الكمال الذي لا يقوم به إلا أفراد من الرجال. وفيه أقوال أخر لا تخلو عن تكلف تركناها.

فإن قلت: كيف يتم أن المراد: ((من حفظها)) على ما هو قول المحققين ولم يأت بعددها حديث صحيح؟

قلت: لعل المراد من حفظ **كل ما ورد في القرآن** وفي السنة الصحيحة، وإن كان الموجود فيهما أكثر من تسعة وتسعين، فقد حفظ التسعة والتسعين في ضمنها، فيكون حثا على تطلبها من الكتاب والسنة الصحيحة وحفظها.

١٠/ ١٢٨٩ – وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من صنع إليه معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء)). أخرجه الترمذي، وصححه ابن حبان.

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث؟ إسماعيل حقي ٣٢٨/١٠

(وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صنع إليه معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء. أخرجه الترمذي، وصححه ابن حبان).

المعروف: الإحسان، والمراد: من أحسن إليه إنسان بأي إحسان، فكافأه بهذا القول، فقد بلغ في الثناء عليه مبلغا عظيما، ولا يدل على أنه قد كافأه على إحسانه، بل دل على أنه ينبغي الثناء على المحسن.

وقد ورد في حديث آخر: ((إن الدعاء، إذا عجز العبد عن المكافأة، مكافأة)). ولا يخفى أن ذكر الحديث هنا غير موافق لباب الأيمان والنذور، وإنما محله باب الأدب الجامع.." (١)

٨٠. "من تكلف تركناها فإن قلت كيف يتم أن المراد من حفظها على ما هو قول جمع المحققين ولم يأت بعددها حديث صحيح قلت لعل المراد من حفظ كل ما ورد في القرآن وفي السنة الصحيحة وإن كان موجودا فيهما أكثر من تسعة وتسعين فقد حفظ التسعة والتسعين في ضمنها فيكون حثا على تطلبها من الكتاب والسنة الصحيحة وحفظها

١٠- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء" أخرجه الترمذي وصححه ابن حبان المعروف الإحسان والمراد من أحسن إليه إنسان بأي إحسان فكافأه بهذا القول فقد بلغ في الثناء عليه مبلغا عظيما ولا يدل على أنه قد كافأه على إحسانه بل دل على أنه ينبغي الثناء على المحسن وقد ورد في حديث آخر إن الدعاء إذا عجز العبد عن المكافأة مكافأة ولا يخفى أن ذكر الحديث هنا غير موافق لباب الأيمان والنذور وإنما محله باب الأدب الجامع

١١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم "أنه نهى عن النذر وقال إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل" متفق عليه هذا أول الكلام في النذور والنذر لغة التزام خير أو شر وفي الشرع التزام المكلف شيئا لم يكن عليه منجزا أو معلقا واختلف العلماء في هذا النهي فقيل هو على ظاهره وقيل بل متأول قال ابن الأثير في النهاية

---

(١) سبل السلام@ ط أخرى؟ الصنعاني ص/١١٦٢

تكرر النهي عن النذر في الحديث وهو تأكيد لأمره وتحذير عن التهاون به بعد إيجابه ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل لكان في ذلك إبطال لحكمه وإسقاط للزوم الوفاء به إذا كان بالنهي يصير معصية فلا يلزم وإنما وجه الحديث أنه قد أعلمهم أن ذلك الأمر لا يجر لهم في العاجل نفعا ولا يصرف عنهم ضرا ولا يرد قضاء فقال لا تنذروا على أنكم تدركون بالنذر شيئا لم يقدره الله تعالى لكم أو تصرفون به عنكم ما قدر عليكم فإذا نذرتم ولم تعتقدوا هذا فاخرجوا عنه بالوفاء فإن الذي نذرتموه لازم لكم ا هـ وقال المازري بعد نقل معناه عن بعض أصحابه وهذا عندي بعيد عن ظاهر الحديث قال ويحتمل عندي أن يكون وجه الحديث أن الناذر يأتي بالقرب مستثقلا لها لما صارت عليه ضربة لازب فلا ينشط العقل نشاط مطلق الاختيار أو لأن الناذر يصير القربة كالعوض عن الذي نذر لأجله فلا تكون خالصة ويدل عليه قوله إنه لا يأتي بخير وقال القاضي عياض إن المعنى أنه يغالب القدر والنهي لخشية أن يقع في ظن بعض الجهلة ذلك وقوله لا يأتي بخير معناه أن عقباه لا تحمد وقد يتعذر الوفاء به وأن لا يكون سببا لخير لم يقدر فيكون مباحا وذهب أكثر الشافعية ونقل عن المالكية إلى أن النذر مكروه لثبوت النهي واحتجوا بأنه ليس طاعة محضة لأنه لم يقصد به خالص القربة وإنما قصد أن ينفع نفسه أو يدفع عنها ضررا بما التزم وجزم الحنابلة بالكراهة وعندهم رواية أنها كراهة تحريم ونقل." (١)

٨١. "وقال العيني: كما ورد الابتداء بالبسملة في أول كل أمر ورد الابتداء بالحمد أيضا، ولكن يجمع بينهما بأن الأولية أمر نسبي، فكل ثان بالنسبة إلى ثالث أول، فافهم.

(هذه فريضة) أي: نسخة فريضة (الصدقة) فحذف المضاف للعلم به، وفيه أن اسم الصدقة يقع على الزكاة خلافا لمن منعها من الحنفية (التي) كذا في أكثر النسخ، وفي بعضها: وهو غير ظاهر.

(فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين) أي: أوجبها عليهم، وذلك أن الله تعالى قد أوجبها وأحكم فرضيتها في كتابه العزيز، ثم أمر رسوله بالتبليغ، فأضيف الفرض إليه بمعنى الدعاء إليه وحمل الناس عليه، وقد فرض الله طاعته على الخلق، فجاز أن يسمى

---

(١) سبل السلام @ ط الحلبي؟ الصنعاني ٤/ ١١٠

أمره وتبليغه عن الله فرضا على هذا المعنى.

وقيل: معنى الفرض هنا بيان المقدار؛ لأن الإيجاب بنص القرآن على سبيل الإجمال وبين صلى الله عليه وسلم مجمله بتقدير الأنواع والأجناس، ومعناه راجع إلى قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ الآية [النحل: ٤٤]. وقد جاء الفرض بمعنى التقدير، ومنه فرض القاضي النفقة وفرض الإمام أرزاق الجند، ثم أصل الفرض قطع الشيء الصلب، ثم استعمل في التقدير لكونه مقتطعا من الشيء الذي يقدره منه.

ويرد أيضا بمعنى البيان كقوله تعالى: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ الآية [التحريم: ٢].

وبمعنى الإنزال كقوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ الآية [القصص: ٨٥]. وبمعنى الحل كقوله تعالى: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ الآية [الأحزاب: ٣٨].

وبمعنى القراءة يقال فرضت حزبي؛ أي: قرأته، وكل ذلك لا يخرج عن معنى التقدير.

وقال الراغب: **كل ما ورد في القرآن** من فرض على فلان فهو بمعنى الإلزام، **وكل ما ورد** من فرض له فهو بمعنى لم يحرم عليه. وذكر أن معنى قوله تعالى أن الذي فرض عليك القرآن أوجب عليك العمل به، وذلك يؤيد أن الفرض مرادف للوجوب، وتفريق الحنفية بينهما باعتبار ما يثبتان به ولا مشاحة فيه.." (١)

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري@ ط الكمال (١١٦٧)؟ المؤلف غير معروف ص/٥٩٢٣

٨٢.   "خلفٍ؛ عن أهل مكة كأنه حذف الهمزة اختصارًا و ﴿نذيرًا للبشر﴾ نصب على الحال، وقال الفراء: معناه: قم يا محمد نذيرًا للبشر، وفي قراءة أُبَيّ ﴿نذير للبشر﴾ بالرفع.

وكل ما ورد **في القرآن** من نحو هذا فيجوز فيه الرفع على البدل، والنصب على الحال، والمدح والذم كقوله: ﴿إنها لظى * نزاعة للشوى﴾ و ﴿نزاعة﴾ و ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾، قرأ الحسن: ﴿أمة واحدة﴾ وأما قوله: ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ أي: مختلفة متفرقة، فالياء في آخر ﴿شتى﴾ ألف مقصورة علم التأنيث، وقرأ عبد الله: ﴿وقلوبهم أشت﴾ أي: أشد اختلافًا، وفي هذه السورة حرفان أيضًا عن عبد الله، ﴿خالدان فيها﴾ وفي قراءتنا ﴿خالدين﴾ لأن الخبر إذا وقع بين." (١)

٨٣.   "وقوله تعالى: ﴿برحمة﴾ [٤٩] وقف تام ثم يبتدأ: ﴿ادخلوا الجنة﴾ وإنما ذكرت هذا الحرف لأن الكسائي إذا وقف على اسم مؤنث نحو الآخرة والقيامة ومرية ومعصية أمال ما قبل الألف نحو رمى وقضى وحبلى وبشرى.

والباقون يفخمون على الأصل؛ لأن من شبه الهاء بالألف قليل شاذ.

فإن سأل سائل فقال: هل يجوز إمالة جميع ما **في القرآن** من نحو ذلك أم لا؟

فالجواب في ذلك: أن الكسائي ذكر أربعة أحرف اللواتي قدمت ذكرهن **وكل ما ورد** عليك مما ضارعه أملته، نحو دابة وحبة. وأما شررة وبررة فإني لا أميل؛ لأني وجدت الألف أصلاً في الإمالة، فإذا كان قبلها حرف من حروف الحلق: [الحاء] الطاء والظاء والصاد والضاد والعين والغين والخاء والقاف امتنعت من الإمالة، وكذلك إذا كان قبله راء نحو فراش وسراج؛ لأن الراء حرف فيه تكرير ففتحها بمنزلة فتحتين كما كانت كسرتها بمنزلة كسرتين في النار والأبرار والقنطار فلما امتنعت الألف في النار والأبرار والقنطار لما تقدمتها راء كانت الهاء المشبهة بالألف أمنع من الإمالة. فإن قيل: هلا تميل الطامة كما تميل الدابة؟

فقل: لا يجوز للطاء التي فيها.

فإن قيل: لم أملت المعصية؟

فقل: لأن الصاد مكسورة وإن كانت من حروف الاستعلاء.

---

(١) إعراب القراءات السبع وعللها (ط الخانجي)؟ الدَّيْلَمي ١/٨٧

فإن قيل: فقد أمال الآخرة وقبل الهاء راء؟

فقل: إنما حسنت الإمالة لكسرة الخاء. وهذا فصلٌ ما أعلم أن أحدًا علله فأعرفه.

١٠ - وقوله تعالى: ﴿وما كنا لنهتدي﴾ [٤٣].

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿ما كنا لنهتدي﴾ بغير واو.." (١)

٨٤. "(ظَلَّتْ شُعَرَا نَظَلُّ): الموضعين السابع والثامن من مشتقات (ظَلَّ) كلمتي (ظَلَّتْ) و (نَظَلُّ) وجاءتا في سورة الشعراء، في قوله تعالى: " فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ " (الشعراء:٤)، وقوله أيضاً: " فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ " (الشعراء:٧١).

٥٧) يَظْلَلْنَ مَحْظُورًا مَعَ الْمُحْتَظِرِ وَكُنْتَ فَظًّا وَجَمِيْعَ (١) النَّظَرِ

٥٨) إِلاَّ بِ: وَيْلٌ (٢) هَلْ وَأُولَى نَاضِرَهْ وَالْغَيْظُ لاَ الرَّعْدُ وَهُودٌ (٣) قَاصِرَهْ

(يَظْلَلْنَ): الموضع التاسع من مشتقات (ظَلَّ) كلمة (يَظْلَلْنَ)، وجاءت في قوله تعالى: " فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْره " (الشورى:٣٣).

(مَحْظُورًا): من الحظر بمعنى المنع، وجاءت في القرآن الكريم في موضع واحد فقط، قوله تعالى: " وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّك مَحْظُورًا " (الإسراء:٢٠).

(مَعَ الْمُحْتَظِرِ): وكلمة (المحتظ) بمعنى صاحب الحظيرة، وجاءت في القرآن الكريم في موضع واحد فقط، قوله تعالى: " فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ " (القمر:٣١).

(وَكُنْتَ فَظًّا): الفظ من الفظاظة بمعنى الغِلْظة والتجافي، وجاءت في القرآن الكريم في موضع واحد فقط، قوله تعالى: " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ " (آل عمران:١٥٩).

(وَجَمِيْعَ النَّظَرِ): أي كل ما ورد في القرآن الكريم من كلمة (النظر) سواءً بمعنى الرؤية أو التفكير تُقرأ بالظاء، وجاءت في القرآن الكريم في ستة وثمانون موضعاً، أولها قوله تعالى: " وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ " (البقرة:٥٥).

(إِلاَّ بِ: وَيْلٌ هَلْ وَأُولَى نَاضِرَهْ): استثنى الناظم هنا ثلاث مواضع تقرأ بالضاد وليس الظاء، وهي كما ذكر الناظم:

(١) إعراب القراءات السبع وعللها (ط الخانجي)؟ الدَّيْلَمي ١/١٨٤

١ - ويل: أي كلمة (نضرة) في سورة ويل، أي: سورة المطففين، وسماها بويل لكونها تبدأ ب (ويلٌ للمطففين)، وجاءت كلمة (نضرة) في قوله تعالى: "تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ" (المطففين:٢٤). وكلمة (نضرة) من النضارة بمعنى الحسن والبهجة.

---

(١) وفي نسخ أخرى: " وَجَمِيْعِ " بكسر العين.

(٢) وفي نسخ أخرى: " وَيْلٍ " بتنوين كسر على اللام.

(٣) وفي نسخ أخرى: " وَالْغَيْظِ لاَ الرَّعْدِ وَهُودٍ " بالكسر.." (١)

٨٥. "الوقف

تعريفه:

الوقف في اللغة: هو الحبس والكف.

أما في اصطلاح علماء التجويد: فهو قطع الصوت على آخر الكلمة زمنًا ما، أو هو قطع الكلمة عما بعدها زمنًا يتنفس فيه القارئ - عادة - بنيّة استئناف القراءة؛ إما بأن يستأنف بما يلي الكلمة الموقوف عليها، أو بما قبلها، أو بها، لا بنية الإعراض عن القراءة.

والوقف يكون على رؤوس الآي، أو أواسطها، ولا يمكن أن يأتي في وسط الكلمة، أو فيما اتصل رسمًا، نحو: الوقف على (من) من قوله تعالى: (مما آتيناكم)، ولا بد من التنفس عند الوقف، وإذا لم يتنفس القارئ فإن وقوفه يعد سكتًا؛ لأن السكت عبارة عن قطع الصوت زمنًا ما دون الوقف - عادة - من غير تنفس.

حكم الوقف:

هناك قاعدة عريضة يخضع لها الوقف في القرآن الكريم، وهي أنه لا يوجد في القرآن وقف واجب يأثم القارئ بتركه، ولا وقف حرام يأثم بفعله، وإنما مناط وجوب الوقف وتحريمه هو ما يقصده القارئ من الوقف، وما يترتب على الوقف والابتداء من إيضاح المعنى المراد، أو الإيهام بغيره مما ليس مرادًا من الآية.

وكل ما ورد في هذا الشأن يدل على سُنيّة الوقف على رؤوس الآي، بشرط ألا يوهم خلاف

---

(١) اللآلئ الذهبية في شرح المقدمة الجزرية؟ المؤلف غير معروف ص/٤١

المعنى المراد.

ومن الآثار التي تدل على سنيّة الوقف؛ ما ورد عن أم سلمة – رضي الله عنها – أنها قالت: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقطع قراءته يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، وكان يقرؤها: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾ [رواه الترمذي في سننه/٣١٧٧]. يقول أبو عمرو الداني في المكتفى: ولهذا الحديث طرق كثيرة، وهو أصل في هذا الباب. وورد في الخبرأيضًا: أن رجلا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم –، فتشهد أحدهما فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما – ثم وقف، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: "بئس الخطيب أنت" قل: "ومن يعص الله ورسوله" [رواه مسلم في صحيحه/٨٧٠]. ففي هذا الخبر دليل واضح على كراهة الوقف على اللفظ المتعلق بما يبينه، ويوضحه، ويدل على المراد منه.

ويتضح لنا مما سبق: أن الوقف حكمه الجواز، ما لم يوجد ما يوجبه أو يمنعه، ومدار الأمر في ذلك هو: ما يترتب على الوقف والابتداء؛ من إيضاح المعنى من الآية، أو إيهام غيره مما ليس مرادًا من الآية.

يقول الإمام ابن الجزري في هذا:

وليس في القرآن من وقف وجب ... ولا حرام غير ما له سبب." (١)

٨٦. "– ﴿سُنَّت﴾ في خمسة مواضع وهي: (الأنفال: ٣٨) وثلاثة مواضع في (فاطر: ٤٣)، و (غافر: ٨٥) وما عدا ذلك فتقرأ بالهاء.

– ﴿قُرَّت﴾ في موضع واحد في: (القصص: ٩) وما عدا ذلك فتقرأ بالهاء.

– ﴿فِطْرَت﴾ في موضع واحد في: (الروم: ٣٠).

– ﴿بَقِيَّت﴾ في موضع واحد في: (هود: ٨٦) وما عدا ذلك فتقرأ بالهاء.

– ﴿ابْنَت﴾ في موضع واحد في: (التحريم: ١٢).

– ﴿كَلِمَت﴾ موضع في: (الأعراف: ١٣٧) وموضع في (غافر: ٦) وما عدا ذلك فتقرأ بالهاء.

---

(١) كيف تجود القرآن الكريم ببساطة؟؟ المؤلف غير معروف ص/١١٣

- ﴿جَنَّت﴾ في موضع واحد في: (الواقعة: ٨٩) وما عدا ذلك فتقرأ بالهاء.

الثالث عشر: مذهبه في الوقف على الهاء من غير ألف تبعاً لرسم المصحف في ﴿أَيُّهَ﴾:
وقف عاصم على الهاء تبعاً لرسم المصحف بالمواضع الثلاثة في القرآن وهي: ﴿أَيُّهَ الْمؤمنون﴾ (النور: ٣١)، و ﴿يَا أَيُّهَ السَّاحر﴾ (الزخرف: ٤٩)، و ﴿أَيُّهَ الثَّقلان﴾ (الرحمن: ٣١).

الرابع عشر: مذهبه في الوقف على آخر ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾، ﴿وَيْكَأَنَّ﴾:
وقف عاصم على الهاء في ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ والنون في ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ في (القصص: ٨٢) تبعاً لرسم المصحف.

الخامس عشر: مذهبه في قراءة ﴿أياً مَا﴾:
وقف عاصم على (ما) من قوله تعالى: ﴿أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (الإسراء: ١١٠).

السادس عشر: مذهبه في قراءة الهمزتين المتلاصقتين في كلمة أو كلمتين:
قرأها عاصم بتحقيق الهمزتين أينما وجدت في كلمة أو كلمتين كما في قوله تعالى: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ (البقرة: ٦) وما شابهها بمختلف الحركات، وفي كلمتين بمختلف الحركات كما في قوله تعالى: ﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾ (أينما وردت)، ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ (الزخرف: ٨٤)، ﴿أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ﴾ (الأحقاف: ٣٢) وكل ما ورد في القرآن الكريم.." (١)

٨٧. "١٢٥٠ - وكل ما ورد في القرآن من ذكر (سُنّة) فإنها مكتوبة بالهاء، إلا خمسة (١) مواضع: في الأنفال: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢)، وفي فاطر: ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٣) في الموضعين (٤)، وفي المؤمن: ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ (٥): فإنهن مكتوبات بالتاء.

---

(١) عطاء المعبود بقراءة عاصم بن أبي النجود؟ المؤلف غير معروف ص/٥٦

١٢٥١ - وكل ما في القرآن (٦) من ذكر (امرأة) فإنها مكتوبة بالهاء، إلا سبعة (٧) مواضع: في آل عمران: ﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ (٨)، وفي يوسف: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ (٩) موضعان (١٠)، وفي القصص: ﴿امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ (١١)، وفي التحريم: ﴿امْرَأَتَ نُوحٍ (١٢) وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ (١٣) و ﴿امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ (١٤)، فإنهن مكتوبات بالتاء.." (١)

(١) المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر (ت الدوسري)؟ نور بنت حسن قاروت ص/٥٤٨